تاج للقديس

١٠ قروش
فى : ج.ع.م



تاج للقديس

تأليف : ليسلى تشارترس
ترجمة : صادق راشد

الفصل الاول

دارت الطائرة فى السماء دورتين ، وأزيزها الهادر يزمجر فى الجو صاخبا .

ومن كوة الطائرة استطاع سيمون تمبلار بنظـــرة شاملة أن يأخذ الجزيرة ذات الاسقف الملونة والطرقات البيضاء ، وعلى البعد فى أقصى تلـــك الجزيرة التى تسبح فىأحضان بحر الانتيل تراءى المطار لعينى تمبلار ممتدا متراميا ، والطائرة تحوم فوقه وقد خفضت من سرعتها وسكن هدير محركها .

والتفت هوبى يونياتز الى القديس وقال له :

ــ يبدو عليك يا زعيمى انك راض سعيد .

فقال له القديس : ولم لا أكون سعيدا يا هوبى ؟ الا تعرف ان هذه هى جزيرة جامايكا ..؟

واشرق وجه هوبى يونياتز دلالة على الفهم والادراك وقال :

ــ بل أعرف يا زعيمى ... انها احدى جزر بحر الانتيل ، وبالقرب منها هايتى وهافانا .

فقال القديس وقد تألقت على شـــفتيه ابتسامة خفيفـــة :

ــ هذا صحيح ، ولكننا لســـنا اليوم بصدد درس فى الجغرافيا ، وانمـــا أردت أن أقلب معـــك صحائف التاريخ ... لقد أردت أن أقول اننى طالما تمنيت ان اعيش فى هذا العصر .

فقال هوبى يونياتز متسائلا وقد ارتسمت على وجهه امارات البلاهة والغباء ؟

ــ أى عصر يا رئيسى .

ــ عصر المغامرة والمخاطرات ... العصر الــذى كانت تقوم فيه هنا ميناء بورت رويال مقر القراصنة العظام ... لو اننى عشت فى هذا العصر يا هوبى لاصبحت واحدا من اولئك القراصنة ... وفى يوم من الايام سوف أروى لك شطرا من تاريــخ مانسفيلد وهو لاندية وهـــارى مورجان ... والحق انى ما أن استعيد الى ذهنى بعض مغامراتهـــم حتى يخامرنى اليقين بأن فى عروقى تجرى بعض دمائهم ، والا فمن أين لى روح المغامرة التى تضج بها دمائى .؟.

وما كان سيمون تمبلار فى هذا مبالغا أو مغرورا ، فقد أجمع الناس على تلقيبـــه بروبين هـــود العصر الحديث . واذا كان هارى مورجان هو قرصان قراصنة ذلك العهد البعيد السحيق ، فما من شك فى أن سيمون تمبلار ــ القديس ــ هو ملـــك المغامرين فى الوقت الحاضر .

واهتزت الطائرة ، ولمست عجلاتها الارض ، وبدات تنزلق فوق الممر فى يسر وسهولة حتى استغرقت فى نهايته ساكنة . وأقبلت المضيفة على الركاب بابتسامتها الساحرة التى تشع رقة وعذوبة ، واشارت اليهـــم بالتأهب للنزول ، وبدأوا يفكـــون الاحزمة المشدودة حول وسطهم ، ثم أخذوا يغادرون الطائرة تباعا ، هابطين على السلم المسند الى بابها .

وارتفع صوت هوبى يونياتز وهو يهبط الدرجة الاخيرة قائلا :

ــ أنت يا هذا ..؟ أنت يا سيدى ..!

ومال هوبى الى الارض ، والتقط منديلا كان قـــد

سقط من الرجل الذى ناداه والذى كان يسير أمامه ، ومد اليه يده قائلا :
ـ أهذا منديلك يا سيدى ..؟
واستدار الرجل الى هوبى ، وتناول المنديل شاكرا، وعلى شفتيه ابتسامة رقيقة جذابة ، ثم تحول وتابع طريقـــه .
واخذ القديس يتابع الرجل ببصره ، وهو بوفض الخطى مبتعدا عبر الممر .. لم تكن ثيـــابه مهندمة انيقة ، ولكنه كان يسير فى خطوات رشيقة ، وفوق راسه قبعة من الجوخ أمالها فى تأنق ، وبين شـــفتيه فى ركن فمه سيجارة متوهجة .
وقال تمبلار يسأل مساعده هوبى يونياتز :
ـ هل تأملت المنديل جيدا يا هوبى ..؟
فأجاب : ـ طبعا .. وتفوح منه رائحة معطـــرة كأنه حديقة متحركـــة .
ـ انى لا اسألك عن هذا ، وانما أردت أن اعرف ان كنت قد رايت بطرف منديله شعارا مطرزا ..؟
فحملق هوبى فى رئيسه دهشة وغمغم :
ـ شعار مطرز ..؟ ماذا تعنى ..؟ اتريد أن تقول انه كونت أو مركيز ..؟
فأجابه القديس : ـ اذا كانت عيناى لم تخدعانى فانه أمير فيما أعتقد ... ان الشعار المطرز بطرف منديله يمثل تاجا .
ودرجا معا ـ جنبا الى جنب ـ الى مكاتب المطار ... وكان الاستقبال منطويا على المـــودة وحســـن الوفادة ، وبدا الموظفون ظرفاء مجاملين ، يفحصون الجوازات فى رقة ، ويفتشون الحقائب فى دعة ولطف ، ودون أية بادرة من الغلظـــة والجفـــاء . وبينمـــا

ينتظر الركاب الفـراغ من الاجراءات الرسمية ... تطوف بهم مضيفات حسناوات بين ايديهن صوان عليها مختلف انواع المشروبات .

ولم يتردد هوبى يونياتز ... انقض على الكئوس يفرغها تباعا فى ذلك الجوف الظامىء الذى لا يرتوى ابـدا .

وغمغم هوبى يونياتز : ــ يا لها من بلاد رائعـة يا زعيمى .. !

واجابه القديس : ــ انك فى جامايكـا تستطيع أن تسبح فى بحر من الخمور ، ولكننى أنصحك أن تجرب شرابهم الوطنى المفضل المسمى « كولينز » .

وهتف هوبى بالمضيفة : ــ على بالكولينز اذن .

وان هى الا لحظات حتى هبطت فى المطار طائرتان أخريان ، واشتدت الجلبـة ، وتضاعف الزحـام ، وتسـارعوا الى السـيارة يستقلونهـا ماضين الى الفنـادق .

وكانت البيوت التى تحف بالطرقات تبدو وكأنهـا بساتين من الزهور ، فقـد علت واجهاتهـا الورود بشتى الوانها واشكالها ، حتى لتتراءى وهى متراصة متلاصقة كأنها باقات ورد صفت جنبا الى جنب .

وقال سيمون تمبلار : ــ لو أن روميو عاش هنا لما كانت به حاجة الى أن ينصب سـلما الى الجـدار ليرتقيه الى شرفة محبوبته ، اذ حسبه أن يتسـلق اليها هذه النباتات المعرشة .

وانتهى القديس وصاحبه هوبى الى فندق ميرتل ، أفخر فنادق المدينة ، والمشيد على الطراز الاسبانى الذى به لمسات ساحرة من روح الشرق .

وما أن اجتازا مدخل الفندق حتى هتف هوبى :
ــ انظر يا زعيمى ..! ها هو الرجل مرة أخرى .
وكان « الرجل » الذى عناه هوبى هو ذلك الذى سقط منه منديله فى المطار وأعاده اليه هوبى .. ذلك الذى وصفه القديس بأنه أحد الامراء .

على قيد خطوات كان « رجل المنديل » غارقا فى أحد المقاعد الفوتيل الضخمة ، وقد ابتلع جسده الضئيل وكاد أن يخفيه . وكان واضحا أنه يريد أن يتوارى عن الانظار فقد كانت بين يديه صحيفة منشورة الى أقصاها ، كأنما يتعمد أن يختفى وراءها .
واقترب منه هوبى يونياتز ، ورفع يده الى جبهته يحيى الرجل الغامض المجهول وهو يقول :
ــ معذرة يا صاحب السمو ...
وقبل أن يتابع حديثه أسرع الرجل باصبعه الى شفتيه يومىء اليه بالسكوت وهو يهمس : ــ صه ..!
وفى نفس اللحظة كان سيمون تمبلار ينادى مساعده يستدعيه اليه ليحرر بطاقة الفندق . وما ان فرغا منها حتى استقلا المصعد ماضيين الى جناحهما .
كان جناحا فاخرا ، مؤثثا بأفخم الرياش ، وله شرفة رحبة تطل على حديقة الفندق التى حفلت بأشد الزهور روعة ونضارة ، وقد تناثرت فى ارجائها اشجار النخيل الباسقة ملقية بظلالها ترد عن الارض الحرارة القائظة . وهناك على البعد تنبسط مياه البحر الزرقاء كأنها لوح من البلور ، وعلى أقصى امتداد البصر يتراءى المطار بأنواره المتألقة .
وفى أحد اركان الحديقة يقوم حوض للسباحة تغمره مصابيح كاشفة ذات اضواء ملونة ، تبرق فوق صفحة

المياه المترجرجة فتبدو وكأنها بدرة من اللآلىء المتوهجة تسطع عليها اشعة الشمس .

ووقف سيمون تمبلار وصـــديقه هوبى يونياتز فى الشرفة يتأملان هذا المشـــهد الساحر الخلاب ، حين استرعى انتباههما هدير سيارة تنزلق عجلاتها على الممر المرصوف ، وتتوقف فى ساحة الانتظار على مقربة من درج الفنـــدق .

كانت سيارة فارهة من أحدث طراز ، يوحى منظرها بثراء صاحبها ، كما دلت بزة الســـائق الانيقة على أنه يعمل لدى قوم يعنون بالمظاهر ويولونها اهتمامـــا فائقـــا .

وحملق هوبى يونياتز واتسعت حدقتاه ، وند من صدره تنهدة ساخنة ، وغمغم يقول :

ــ يا الهى ..! انها لفتنة تتحرك على الارض ..!

وتطلع سيمون الى « تلك الفتنة التى تتحرك على الارض » ، ورآها .

كانت فتاة فى عنفوان الشباب ، تهبط درج الفندق فى خطى رشيقة كأنها راقصة باليه تخطر على حلبـــة الرقص ، وكل شىء فيها يفتن الابصار ويضل العقول.

كانت ابتسامتها تشيع فيما حولها ضوءا مشرقا ، وكان لعينيها سحر يفتن الالباب .

واتجهت الفتآة الى السيارة ، وبادر السائق يفتح لها الباب ، واومأت اليه براسهـــا تحييه فى عذوبـــة ورقة . وعجب سيمون بعد هذا كيف يتسنى للسائق أن يباشر عمله ويقود السيارة ، فما من شك فى أن هذه الابتسامة كفيلة بأن تدير راس الســـائق فيغفل عن الطريق أمامه وتقع الكوارث .

وصعدت « الفتنة المتحــركة » الى الســيارة ، على المقعد ، وبادر السائق يغلق الباب ، وجلس الى مقعد القيادة ، ومالت اليه الفتاة تهمس اليه ببعض الكلمات ، ثم ما لبثت السيارة أن تحركت ، وبدأت تبتعد .

كان هوبى يونياتز يحملق فى الفتاة مشدوها ، وقد أخذه جمالها حتى استقرت فى مقعدها . أما سيمون تمبلار فكان يحملق فى شىء آخر .

لم تكد الفتاة تهبط درج الفندق ، وتأخذ طريقها فى المشى متجهة الى سيارتها حتى برز من باب الفندق ذلك الرجل الضــئيل الجسم الضئيل الشارب والذى يطرز طرف منديله بتاج ــ شعار الامراء .

وقف « الامير » على رأس الدرج يتابع الفتاة ببصره وهى تعبر المشى حتى بلغت سيارتها ، وحين تحركت بها استدار راجعا الى الداخل .

وقال سيمون تمبلار يخاطب مساعده :

ــ هوبى ..! هوبى ..! أفق يا رجل واســتمع الى .

واستفاق هوبــى يونياتز من استغراقه وقال فى شرود :

ــ أناديتنى يا زعيمى ..؟

فأجابه سيمون : ــ طبعا ناديتك فبحق الشــيطان دعك من الفتاة فان لدى مهمة لك .

ــ أتريد منى ان اتعقب الفتاة ..؟ انها فى الحــق لمهمــة لذيذة .

ــ بل أريد منك شيئا آخر ... ان الفتاة لا تعنينى فى شىء ، فلســت ابغى ان اصــحبها الى حوض

السباحة أو الى المراقص ، وانمـــا أريـــد ان العب البوكر .

فقال هوبى بغبائه المنقطع النظير :

ــ وهل رضيت الفتاة أن تلاعبك يا زعيمى ...

ــ اننى لم اسألها بعد ... ولكننى اريد ان الاعب الامير ... انه هو الذى يعنينى أمره .

فتساءل هوبى وما زال شارد النظرات فى أعقاب الفتاة :

أى امير يا زعيمى ؟

ــ الامير .. صاحب المنديل المطرز والشـــارب القصير .

ــ هل اذهب اليه وأدعوه الى مشاركتك اللعب ..

ــ كلا ، بل اذهب وتحر عنه .. أريد منك ان تجمع عنه قدر ما يسعك من معلومات .

ــ وأطلق القديس ضحكته المعهودة ، ضـــحكة المغامرة والنضال وقال :

ــ ان سمو الامير يثير اهتمامى ، وأعتقد أنه كخصم ند لى ، ويسعدنى أن الاعبه قليلا ... هيـــا اسرع يا هوبى وعد الى بثمرة تحرياتك .

وهبط هوبى مسرعا الى بهو الفندق لينجز المهمـــة التى عهد اليه بها رئيسه القديس .

ورأى جرسونا يعبر البهو ، وبين يديه صينية صفت فوقها أقداح الشراب المترنمة ، فأشار اليه يستدنيه بفرقعة من أصابعه .

واقبل الجرسون الزنجى ، وحياه هوبى العمـــلاق بأن ربت على كتفه فى لطف ، ولكن لمسة من يد هذا العملاق تكاد فى وقعها تكون أشبه بصخرة حطت على

كتف الجرسون المسكين .

وقال له هوبى باسما ، أو مكشرا عن أنيابه أن شئت !

ـ كيف حالك يا صديقى العزيز ..؟

وقبل أن يرد الزنجى على هذه التحية كان هوبى قد انقض على كأسين اختطفهما من فوق الصينية ، وان هى الا لحظة خاطفة حتى كان الكأسان قد اختفيا فى جوف العملاق ـ أعنى طبعا ما فى الكأسين .

وأجاب الجرسون الزنجى وقد كشف عن أسنانه الناصعة البياض !

ـ شكرا لك يا سيدى ... الجو اليوم لطيف ، يلائم السباحة فى الحمام .

فأجابه هوبى وهو يجرع الكأس الثالثه .

ـ سأفكر فى هذا .. اما الآن فعلى بالكأس الرابعة .

وما لبث أن طوى فى جوفه مشروب « الكولتيز » .

وقال الجرسون فى زهو وتفاخر :

ـ انه مشروب جيد يا سيدى ... انه ممتاز .

فقال هوبى وهو يلعق بلسانه اثر الشراب من على شفتيه !

ـ ممتاز جدا ... والآن قل لى ... ما هو اسمك ..

ـ جو ياسيدى ... أما من خدمة اخرى يا سيدى ..؟

ـ يبدو انك ذكى نبيه ... اريد منك بعض المعلومات .

وأبرقت عينا الزنجى ببريق خاطف ... بعض

المعلومات ... هذا معناه حفنة من النقود .

وكأنما انتقلت خواطر الزنجى تلقائيا الى عقل هوبى يونياتز ، فقد طافت بذهنه نفس الفكرة .

قد يكون الويسكى مجانا ، أما المعلومات فلابد أن لها ثمنا .

دس يده فى جيبه ، وأخرج حافظة نقوده ، وفضها وتناول منها ورقة بنكنوت من فئة العشرة دولارات ودسها فى جيب الجرسون . وازدادت ابتسامة الزنجى اتساعا .

وقال الجرسون الزنجى فى تلطف .

ـ اتريد يا سيدى أن تعرف رقم غرفة احدى السائحات ... حسبك اشارة بسيطة لاتيك بالرقم فى الحال ..

ثم اقترب من العملاق واستطرد يقول .

ـ بل اننى استطيع ايضا أن اخطرك عندما يكون الطريق خاليا الى غرفتها ، فتتسلل اليها دون أن يراك أحد .

ثم أردف وقد ازداد وجهه اشراقا اذ كان يفكر فى مزيد من الهبات .

ـ فى جامايكا ممكن تدبير كل شىء يا سيدى ... بالمال ... من يدفع لا يمكن أن يندم أبدا .

ولم يعجب هوبى يونياتز لما سمع ، فقد كان عهده بالبلاد كلها ـ لا جمايكا وحدها ـ ان المال يمهد الطريق الى أى شىء ، مهما كان شاقا عسيرا .

وقال العملاق وقد سرح بخواطره .

ـ السائحة التى أريد أن استفسر عنها فتاة حسناء ، بل انها أكثر من حسناء ... انها الجمال

مجسدا .. وثيابها غاية فى الاناقة ، ومنذ لحظات استقلت سيارة فارهة بيضاء اللون كانت تنتظرها فى الحديقة .

وغمغم الجرسون فى جذل :

ـ آه .. آه ..! انك تعنى مادموازيل فالدور .

ولبث هوبى يتطلع الى الجرسون الزنجى مترقبا ما سوف يدلى به من معلومات . ولكن جو لم يكن يعرف عن هذه الحسناء ما يتجاوز ما تفوه به .

نعم .. انها تدعى مادموازيل فالدور ، ولكنه يجهل كل شىء عنها ، بل انه يجهل حتى اسمها الاول .

وقال هوبى يحث الزنجى جو !

ـ حسنا .. حسبنا هذا الان ، ولكن حاول أن تجمع عنها بعض المعلومات .. أى معلومات مفيدة .

واردف العملاق ، واريد منك ايضا أن تفضى الى بكل ما تكتشفه فى الغرفة رقم ٢٠٣ .

فقال الجرسون ! ـ رقم ٢٠٣ .. انه جناح لا غرفة يا سيدى .

واستدار وهو يهم بأن يبتعد الى شأنه ، ولكن العملاق اخذ بذراعه وهو يقول : أنظر .. !

وتطلع الزنجى الى حيث أشار هوبى ...

كان الشىء الذى استرعى نظر العملاق هو الامير المجهول ذو المنديل المطرز بشعار التاج .

كان الامير واقفا يتحدث الى رجل آخر .

كان الامير ضئيل الجسم ، أما الاخر فكان ضخما قوى البنيان ، حتى لقد بدا الامير الى جانبه وكأنما هو صفر . معدوم لا وجود له .

وقال هوبى متسائلا فى اهتمام .

ـ من يكون هذان الرجلان اللذان يتبادلان

الحديث ... ؟

وهز الزنجى رأسه نفيا ، يريد أن يقول أنه لا يعرف عنهما شيئا ، ولكن عينيه تفصحان عن أنه يعرف بعض أشياء ..

وأدرك هوبى حقيقة الموقف رغم ما هو مأثور عنه من الغباء وضيق الافق .

دس يده فى حافظة نقوده ، وتناول ورقة بنكنوت أخرى فئة العشرة دولارات ، وبسطها الى ناحية الجرسون .

ومد جو يده فى حركة سريعة ، واطبق بأصابعه على الدولارات العشرة ، ولكن هوبى لم يتخل عن ورقة البنكنوت ، فكان نصفها فى يده ، والنصف الاخر فى يد الجرسون الزنجى ، وهما يتجاذبانها فيما بينهما .

وقال العملاق فى صوت وحشى النبرات !

ــ اننى أنتظر أن تتكلم .

وتكلم الجرسون الزنجى ، ولكن فى صوت خافت !

قال : ــ اننى لا أعرف شيئا عن الرجل الصغير الجسم ، ولكننى أعتقد انه نزيل بالفندق ... لقد رأيته لتوى لاول مرة جالسا أمام البار ، وقد احتسى ثلاثة كؤوس من الكولنيز .

وسأله هوبى ! ــ والرجل الاخر ..؟ الضخم ..؟

ــ اننى لم أره من قبل يرتاد فندقنا .

وللمرة الثانية كانت عيناه تنمان على أنه يعرف شيئا يحاول أن يتكتمه .

وقال هوبى بنفس الصوت الوحشى !

ــ اننى أنتظر ... هذا ان كنت تريد أن تظفر بدولاراتى .

وقال الزنجى : ــ على أية حال ارجوك ن لا تذكر

لاحد أننى أنا الذى زودتك بالمعلومات .. الرجل الضخم بملك قاربا يسمى « النجمة الجميلة » ، ومرساه هناك فى أقصى الرصيف ..

واشرق وجه هوبى يونياتز ، فالآن يستطيع أن يعود الى زعيمه منتصرا وقد ظفر بهذه المعلومات القيمة .

الفصل الثانى

ما أن اجتاز هوبى يونياتز مدخل فندق ميرتيل حتى ألفى نفسه غارقا فى غمار شمس جامايكا الساطعة .

وغمغم ساخطا وهو يند عن صدره زفرة عميقة !

ــ يا الهى .. ! ما أشد الحر ..! هــذا زعيمى يحضر للنزهة فاذا به يتنسم رائحة المغامرات ، فيستهويه التحدى والنضال ، ثم لا يجد أمامه سواى لكى يبعث به لجمع المعلومات فى هذه الحرارة القائظة ..!

وعاد يزفر من جديد وقد اشتد به السخط .

ومشى متجها الى رصيف الميناء وهو يوفض الخطى ، وعيناه تدوران هنا وهناك بحثا عن « النجمة الجميلة » .

كان الرصيف غاصا بشتى أنواع القوارب واليخوت ، ولكن « النجمة الجميلة » كانت دون شك أبعد شىء عن الجمال .

كان أحد أشرعتها مكسورا ، وكان البحارة منهمكين فى اصلاحه ، وان كان يبدو للنظرة الاولى أنه غير قابل للاصلاح . وكانت أمام القارب على الرصيف

أكداس من البضائع تنتظر أن يأتى الحمالون لنقلهـا اليـه .
ولم يغب عن هوبى يونياتز ان « النجمة الجميلة » من طراز القوارب التى يمتلكها جمـاعة من الافاقين المغامرين ، ولا ينفكون يجوبون بها الشواطىء بحثا عن العمل ـ أى عمل مهما كان منطويا على المخـاطر ، ومهما كان مخالفا للقانون ، مادام صـاحبه سـخيا لا يضن بالمـال . فعنـدئذ يغامر صـاحب القارب ، ولا يقعده عن الاقدام الخوف من الشرطة .
ووقف هوبى يونياتز على الرصيف يتأمل « النجمة الجميلة » مستغرقا الى أن سمع من ورائه صـوتا يقول :
ـ ما الذى تريد من هذا الكلب ..؟ اننى آسف ان تعهد اليه بمهمة خطيرة .
فقال هوبى متسائلا وهو يحدج البحـار العجوز ببصره :
ـ اتراك تعرفه ...؟
ـ سبق أن رأيته أكثر من مـرة ... ان الكابتن برترام على استعداد لأن يقوم بأية مهمـة ما دمت تدفع .. انه كالكلب المطيـع .. لوح له بعظمـة يبصبص لك بذنبه .
فقال هوبى : اذن فهو يدعى برترام .. ؟
وأومأ البحار العجوز برأسه ايجابا واستطرد يقول:
ـ وانه لطراز عجيب بين الرجال .. وهو يرتاد هذهالناحية من وقت لاخر ، ولكن الشىء الذى أعجب له هو ان النجمة الجميلة ألقت مراسيها فى هذا الميناء منذ بضعة ايام ، ثم لبثت مكانها لا تتحرك ولا تزايله ، والكابتن برترام يدفع مع ذلك رسوم الرسو ، فأى

شيء ينتظر .. هذا هو ما يثير استغرابى .. لا شك أنه يترقب شيئا معينا ، ولا شك انهم نقدوه أجره مقدما ، فانه ما كان ليقوى على ان يتحمل هذه الرسوم الباهظة أثناء فترة الانتظار ، خاصة وانها امتدت وطالت .

وكان هوبى فى الحق موفقا سعيد الحظ ، اذ ألقت اليه الاقدار بهذا البحار الثرثار الذى يطلق لسانه فى غير عناء بكل ما يعرف .

وتساءل هوبى فى شيء من التشكك !

ــ اتعتقد حقا ان الكابتن برترام يمكن أن يقبل أية مهمة مهما كانت مشبوهة .. ؟

ــ ولم لا تحاول .. ؟ أقصى ما فى الامر انه سوف يقذف بك من سطح القارب الى رصيف الميناء .

وانفجر البحار العجوز ضاحكا ، وجمع فى أركان فمه بصقة كبيرة من اللعاب المختلط ببقايا الطباق ، والقى بها على الارض ، وتطاير منها بعض الرشاش على حذاء هوبى يونياتز .

واستدار هوبى يونياتز متجها الى النجمة الجميلة وعبر اللوح الخشبى الممتد منها الى الرصيف .

وتطلع اليه الكابتن برترام فى استغراب ، وكذلك فعل صاحبه الذى كان واقفا يتحدث اليه . وما كان هذا الرفيق الا ذلك الرجل الضئيل الذى لقبه القديس بالامير .

وقطب برترام جبينه وهو يرى ذلك العملاق هوبى يتقدم الىسطح القارب خطوة بعد خطوة .

ثم ابتدره يسأله وهو يحاول ن يبتسم :

ــ ما معنى هذا أيها السيد ...؟ ما الذى تبغى !

فقال الكابتن : — لقد القينا المرساة منذ مدة طويلة، ولهذا خطر لى انه قد يمكننى أن ..

بيد أن الامير قاطعه بقوله :

— وما يضيرك انت من هذا ما دمت انقدك أجرا عن الانتظار .

جرى هكذا الحديث بين الامير والربان فى صوت خافت ، وفاتت بعض الكلمات على ذنى هوبى ، ولكنه على اية حال ادرك فحوى الحوار .

وتحول الكابتن برترام الى هوبى يونياتز قائلا :

— لك ان تنتظر قليلا أيها السيد ، فانى مرتبط مع هذا السيد بشحنة لابد أن أفرغ منها أولا .

وقبل أن يجيب هوبى فتح الباب فى عنف ، وهرول الى الداخل رجل عارى الصدر وهو يقول :

— الموعد هو الغد ، فان ...

وبنظرة صارمة من الربان ، وباشارة حاسمة من يد اميل سكت الرجل واطبق شفتيه ، وان كان ق استطاع أن يقول :

— منذ مدة طويلة ونحن فى انتظار هذه الشحنة

والتفت الربان الى هوبى وقال له .

— ارايت أيها السيد ..؟ لقد كدنا نفرغ من الصفقة التى بين أيدينا ، وبعد هذا يحين دورك .

ونهض هوبى يونياتز واقفا ، وصافح الربان وانحنى أمام الامير وهو يقول :

— تحيتى لسمو الامير .

ثم استدار منصرفا ، وان هى الا لحظات حتى ك يروى للقديس تفاصيل ما حدث .

وقال : — ان الامير ما كاد يرانى حتى اكفهر وج كأنما رأى الشيطان أمامه .

وغمغم القديس فى صوت خافت .
ـ وما أدراك انه رأى الشيطان فعلا ..!
كان سيمون تمبلار متمددا على أريكة فى شرفة جناحه ، وعلى المائدة بجانبه أقداح الشراب .
وأفرغ هوبى قدحا من الكولتيز فى جوفه وقال :
ـ وليس هذا فقط يا زعيمى ، بل جئتك أيضا باسم الفتاة الحسناء ، وباسم الامير ، وباسم الربان ... ولعلك لا تعرف ان « النجمة الجميلة » ستبرح الميناء غدا .
كان هوبى يونياتز فخورا بنفسه ، معتزا بما فعل .
وقال سيمون تمبلار فى صوت هادىء !
ـ وما جدوى هذه المعلومات يا هوبى ..؟ ما الذى استفيده منها ..؟ أهـذا هو كل ما استطعت أن تستقيه ..؟
واحمر وجه هوبى يونياتز غضبا ، ولكنه لاذ بالصمت لا يجسر على أن يتحدى رئيسه .. كان يتوقع منه الثناء والمديح ، فاذا به لا ينال غير اللوم والتقريع .
وقال القديس : اذا كنت تنوى أن تتناول العشاء فهيا عجل بارتداء ثيابك فقد أزف الوقت .
وزمجر هوبى ، ولكنه ابتلع الكلمات ، كما ابتلع كرامته وتناسى الكبرياء ، ومضى يرتدى ملابسه .
وعلى المائدة جلسا صامتين لا يتبادلان كلمة واحدة . وجاء الامير وجلس الى مائدة قريبة ، ورفع هوبى يونياتز أصبعه الى شفتيه وأشار الى الامير اشارة تحذير كانما يريد منه أن يتكتم سره عن زميله الذى يجالسه .

ولم تغب هذه الايماءة عن القديس ، فقال :
ــ لا انكر يا هوبى انك بدات تتقدم .
ولم يعقب هوبى بكلمة واحدة ، اذ كان لا يزال ممتعضا من سلوك سيمون تمبلار حياله وضنه عليه بالمديح .
ودار هوبى ببصره فى أرجاء القاعة ينشد مادموازيل فالدور ، اذ كان يتمنى أن يراها قبل ان تقع عليها ابصار القديس حتى يسجل لنفسه انتصارا جديدا على زعيمه .
وتطلع اليه القديس برهة ثم قال :
ــ لا تحاول أن تبحث عنها ، فانها تتناول العشاء فى دار الحكومة .
فازدرد هوبى ريقه وقال متلعثما !
ــ ماذا تقول ..؟ أتعنى مادموازيل فالدور ..؟
ــ طبعا .. انها هى من أعنيها .. وأنت نفسك مدعو معى لقضاء السهرة فى دار المحافظة . فهيا بنا .
وان هى الا لحظات حتى كان الاثنان قد غادرا الفندق ، واستقلا السيارة منطلقين على الطريق الممتد بمحاذاة البحر ، وضوء القمر الساطع يضفى على المكان سحرا خلابا .
وأومأ هوبى يونياتز الى ناحية البحر وهو يقول :
ــ ها هى زى النجمة الجميلة .
فقال القديس : ــ ولكنها مطفأة الانوار .
وتابع القديس طريقه الى دار المحافظة وهو لائذ بالصمت لا يتفوه بكلمة واحدة أخرى .
كانت دار المحافظة غارقة فى الانوار المتألقة ، وبساحتها تكدست عشرات من السيارات الفاخرة .

وما ان تخطى القديس مدخل البهو حتى لمحه المحافظ فتقدم صوبه باسطا يده وهو يقول :

ــ انى لاستطيع أن أميزك من بين ألف يا مسيو تمبلار .. ان صديقك المفتش كلود أوستاس تيل طالما حدثنى عنك .

فقال القديس ! ــ اننى وتيل صديقان قديمان ورفيقان فى النضال .. لقد كنا دائما اما صديقين واما عدوين ، وأحيانا نكون أصدقاء وأعداء فى نفس اللحظة .

وقال مدير الشرطة وهو يتطلع الى هوبى :

ــ وهذا فيما أعتقد هو مسيو يونياتز .

واغرق تمبلار فى الضحك وقال :

ــ ارايت يا هوبى كيف أن لك صيتا ذائعا فى عالم الشر جعلك شخصا مرموقا .؟

ودار القديس بعينيه فى أرجاء القاعة يرمق النساء الفاتنات بنظرة فاحصة ، وهن يرفلن فى ثياب أنيقة لا شك انها جاءتهن من أشهر مصممى الازياء فى باريس ولندن .

وقال المحافظ وعلى شفتيه ابسامة خفيفة :

ــ منذ سنوات بعيدة كنت اذا عرفت أن القديس مهتم باحدى سهراتى اعترانى الخوف على رقاب المدعوات .

فتساءل أحدهم فى دهشة ــ رقاب المدعوات ..؟

ــ أعنى الخوف على القلائد التى تزين جيد النساء .

وفى هذه اللحظة كانت عينا القديس قد استقرت على فتاة يدور بجيدها الناصع عقد من اللآلىء الثمينة ،

وفطن المحافظ الى هذه النظرة المتركزة من القدي
فعلت شفتيه ابتسامة خفيفة وقال !
ــ يبدو أن من العسير على بعض الناس أن يغير
مبادئهم .
وبعد فترة وجيزة دعى الحاضرون الى البوفيه
وكان بوفيها حافلا يليق بأمير فاحش الثراء ..
وحين حانت ساعة الرقص تقدم المحافظ من الف
التى كان القديس يتابعها ببصره وهو يقول :
ــ اسمحى لى يامادموازيل فالدور أن أقدم الي
احد المعجبين .
وانحنى أمامها القديس يحييها ، وحين اعتـ
تلقفته منها عينان متألقتان فى لون القطيفة السوداء
ومدت اليه يدا غضة ناصعة البياض ناعمة الملمس
فمال فوقها يلثمها فى قبلة خاشعة .

وعزفت الموسيقى أنغام التانجو ــ وألقت الفتـ
بيدها على كتف القديس ، واخذا يدوران فى أرجـ
الحلبة فى رشاقة وعذوبة ، وقد خيل الى سـيـ
تمبلار انه يطوف بأرجاء الفردوس .
وقالت له فى ابتسامة تفيض رقة وعذوبة !
ــ اننا لم نتقابل من قبل يا مسيو تمبلار ، ومع
يخيل الى كأنما وجهك ليس بالغريب عنى .
فقال لها فى همسة العبد فى المحراب :
ــ ألا تعرفين ...؟ لا شك اننا التقينا فى الاد
وضحكته ... ولكنها لم تكن ضحكة عادية
كانت شيئا شبيها برنين أجراس فضية .
وبعد لحظات قالت الفتـــاة بنفس الصوت
يفيض عذوبة وسحرا .

ــ مسيو تمبلار اننى متعبة قليلا ، فهلا جلسنا ؟
فقال : ــ يالحسرتى ..! اهكذا سريعا ..؟
فقالت : ان فى الشرفة أريكة منزوية فى ركن هادىء .
وقال سيمون سعيدا راضيا :
ــ اذن هيا بنا .. فلكم تفتننى الاركان الهادئة .

* * *

قال لها سيمون تمبلار متسائلا :
ــ ان اسمك هو فالدور ، أليس كذلك ..؟
فأجابت : ــ ايلين فالدور .
وعاد يسألها فى بساطة دون أن يبدى اهتماما .
ــ أتعرفين أحدا يدعى أميل .. ؟
فقالت : ــ اميل ..؟ أبدا .. ما سمعت بهذا الاسم
قبل .. من يكون يا ترى ..؟
ولم يجب على سؤالها ، وانما عاد يسأل من
يد !
ــ « والنجمة الجميلة » ..؟ اتعرفين شيئا
ما ..؟
فأجابت : كلا .. ولكن ما اغربك حقا يا مسيو
لار ..! ما معنى هذه الاسئلة العجيبة يا مسيو
لار ..؟
فقال : ــ انك تعرفين اسمى الاول طبعا ..؟
فأجابت : ــ سيمون ... سيمون تمبلار ...
كن اذن ... انك رجل عجيب حقا يا سيمون ..
هو اميل .. ومن تكون « النجمة الجميلة » .
أجاب : ــ حتى هذه اللحظة ليست لدى
معلومات قليلة محدودة . ولكننى استطيع على

الاقل ان أقول ان اميـــل مهتم بك اشد الاهتمـــام .
أما النجمة الجميلة فمركب مشبوهة ، فاذا اتفق ان دعاك الربان الى زيارة مركبه فارفضى .. ارفضى بشدة الا اذا كنت فى صحبتى .

ـ الست مغرورا يا سيمون .

ـ بل انى شديد الغرور .

ضحكت ايلين ضحكة رقيقة وقالت :

ـ اذن فلكى أرضى غرورك يحسن ان أسألك عما اذا كنت مرتبطا غدا ببعض المواعيد .. ؟ اننى متلهفة الى أن نمضى بعض الوقت معا فى حوض السباحة .

فأجاب : ـ حتى لا أخيب رجاءك فردى هو : نعم. سأكون سعيدا بأن القاك غدا .

فنهضت واقفة وهى تقول :

ـ سأعود الآن الى القاعة ، ولكن تريث بعـــدى قليلا ولا تصحبنى حتى لا نثير الاقاويل ..

ولمست شفتيها بأناملها ، وبعثت اليه بقبلة عبر الهواء .

وتابعهـــا ببصره حتى توارت وراء باب الشرفـــة ؛ ثم رآهـــا عبر الباب تحيى المحافظ وتســـتأذن فى الانصراف .

وراودته فكرة ملحة .. هل انطلق فى أعقابها .. هل أحاول اللحاق بها ..؟

وفى جهد ومشقة استطاع أن ينفض من رأسه هذ الفكرة الطاغية .

ثم نهض بدوره واقفا ، ورحل الى القاعة .

وساءل نفسه : ـ ترى اين هوبى الآن ..؟

ولكن لم يكن من الصعب عليه أن يفطن الى المكا

الذى يلوذ به مساعده ، فمن تجاربه السابقة كان يعرف اين يمكن أن يعثر عليه .

كان هوبى ـ على عادته المألوفة ـ مرابطا عند البار .. ولو انه كان هناك جهاز الكترونى للعد والاحصاء لاعياه أن يحصى عدد الكئوس التى جرعها هوبى يونياتز فى تلك الليلة .

ودس تمبلار يده تحت ذراع مساعده وهو يقول :

ـ هيا بنا يا هوبى فقد آن لنا أن ننصرف .

وهم بأن يعترض ، وقال انه ما زال ظمآن .

فقال القديس : ـ لو اننا جئناك بنهر من الويسكى لما ارتويت .. هيا بنا ..

الفصل الثالث

صحا سيمون تمبلار من نومه نشطا متدفق الحيوية ، ومضى الى الشرفة يتناول فطوره مع مساعده هوبى يونياتز .

واكتفى سيمون بقدح من عصير البرتقال ، أما هوبى فاكتفى بقدح .. لا بل ببضعة أقداح من الويسكى .

وتطلع سيمون فى ساعته ، وأدرك أن الموعد قد حان .

هبط الى حديقة الفندق ، ووقف عند حوض السباحة يتأمل مياهه الزرقاء الساكنة ، ثم مضى يخلع ثيابه ويرتدى زى الاستحمام ، ولكنه آثر أن يمارس سباحته فى الخليج الممتد أمام الفندق والذى يتصل مباشرة بمياه المحيط .

وان هى الا لحظات حتى كان يضرب فى الماء بزراعين قويتين مفتولتين ، وأنظار النساء اللائى يسبحن الى جواره تلتهم فى اعجاب هذا القوام المشوق .

ودار هنا وهناك يتصفح الوجوه بحثا عن فتاة الامس ، ولكنه لم يتبين لها أثرا .

وادهشه الامر وعجب له .. كيف تخلفت ايلين فالدور عن الموعد ..؟ أتراها مازالت مستغرقة فى النوم .. ؟

أخذ يهون الامر على نفسه ، ومع ذلك غزت قلبه بوادر القلق والانزعاج .

وسبح مقتربا من الشاطىء ، وأشار الى هوبى يدعوه اليه ، وسأله .

ـ هوبى ..؟ ألم تلمح مادموازيل فالدور ..؟

ـ كلا يا رئيسى .. فانك لم تعهد الى بأن أسهر عليها .

ـ أعرف ذلك .. والآن امض الى صديقك الجرسون جو وسله عما اذا كانت مادموازيل فالدور قد طلبت فطورها أم لا ، وعد الى سريعا ، واياك . ان تعرج على البار .

وانصرف هوبى مسرعا ، وعاد مسرعا .

كلا ـ ان مدموازيل فالدور لم تدق الجرس هذا الصباح ، ولم تطلب فطورها حتى الآن .

واستبدت الدهشة بسيمون ، كما استبد به القلق .

وبادر يخرج من الماء ، وارتدى ثيابه ، ومضى مسرعا الى مكتب الاستعلامات يستفسر عن رقم الغرفة التى تقيم فيها مادموازيل فالدور .

وعرف انها تقيم فى نفس الطابق الذى ينزل فيه ، بل تقيم فى الجناح المجاور له .

وخرج سيمون تمبلار الى شرفته ، وان هى الا لحظات حتى كان قد تخطى الحاجز القائم بين الشرفتين ، فاذا به فى غرفة مادموازيل فالدور .

خالجه شىء من التردد فى البداية ، ولكنه ما لبث ان مضى فيما جاء من أجله .

تقدم الى داخل الغرفة فى خطوات متلصصة حذرة ، ثم لم تعد به من حاجة الى أن يسترق الخطى ، فان مادموازيل فالدورلم تكن نائمة فى سريرها .

والقى سيمون نظرة سريعة ، وتبين الحقيقة على الفور .

كان واضحا أن مادموازيل فالدور لم تقض ليلتها فى فراشها ، فقد كان الفراش سليما منسقا لم يمس ، وعلى المقعد بجانب سريرها كان قميص نومها كما تركته الوصيفة ليلة الامس ، وعلى المنضدة رأى عقدا وقطعة واحدة من الحلق ، أما القطعة الثانية فلم يجد لها أثرا ، فأين ذهبت يا ترى ..؟ المفروض ان تكون فردتا القرط موجودتين .

ووقف سيمون تمبلار وسط الغرفة يدير عينيه فى أرجائها وقد استغرقه التفكير . ورأى قطعة صغيرة من القماش ملقاة فى أحد الاركان ، ومكونة على شكل كرة ، فانحنى الى الارض والتقطها .

ثم ما لبث أن ارتد راجعا الى الشرفة ، ولبث هناك يتأملها ، ثم تعلق بالنباتات المتسلقة التى تدور بسياج الشرفة ، ودار حوله ، ورجع الى غرفته .

وما أن رآه هوبى يونياتز ، حتى استشف مما ارتسم على وجه زعيمه أن ساعة النضال والتحدى

قد حلت .

ودفع اليه القديس بقطعة القماش المكورة التى عثر بها فى غرفة ايلين فالدور وهو يقول :

ـ أنظر .. ما رأيك فى هذا ..؟

ونشر هوبى قطعة القماش المكورة فاذا به منديل صغير فى طرفه تاج مطرز بالاجور .

وهتف هوبى : ـ هذا أمر واضح .. انه منـــديل صديقنا العزيز اميل .. الامير .

فقال القديس : ـ اننى معك فى أن مسيو اميـــل كان فى هذه الغرفة .. ولكن هذا ليس بمنديله ... انه منديل مادموازيل ايلين فالدور .

فقال هوبى يونياتز معترضا :

ـ ولكن أنســيت يا زعيمى أن منديلـــه وقـــع فى الطائرة ..

فقال القديس مقاطعا فى لهجة حاسمة .

ـ هذا معناه انه كان لدى مسيو اميل منديل من مناديل مادموازيل فالدور .

ولبث هوبى صامتا يتطلع الى زعيمه .

ومضى سيمون يتكلم فى صوت منخفض كأنما يتحدث الى نفسه ، و كأنما يفكر بصوت عال .

قال : ـ ليلة الامس صعدت ايلين الى غرفتها . وخلعت ثوبها .. واقتحم عليها اميل ـ أو رجـــال الغرفة ، أو لعلهم كانوا متربصين داخلهـــا يترقبون قدومها ، فقد اكتشفت آثار اقدام على الســـجادة . وانقضـــوا على ايلين ، ولعلهـــا قاومت وحاولت تتملص من أيديهم ، ولكنهم تغلبوا عليها ، وحملوها وهبطوا بها عن طريق النباتات المتسلقة التى تمتد من الحديقة على الجدار حتى تبلغ سياج الشرفة .

ودس سيمون المنديل فى جيبه وقال لمساعده :

ـ اسرع الى ساحة انتظار السيارات ، وتأكد من وجود سيارتها البيضاء هناك . وحاول أن تعرف متى شوهدت للمرة الاخيرة ، ثم عد الى سريعا بسيارتنا وستجدنى فى البار فى انتظارك .

وفى البار جلس سيمون يستقى المعلومات .

نعم .. لقد رأى الساقى ليلة الامس رجلا ضئيل الجسم ذا شارب صغير أسود يجلس الى احدى الموائد ، ويتحدث فى اهتمام الى رجل ضخم الجسم فوق راسه كاسكيت البحارة . وقد لبثا مدة طويلة يتبادلان الحديث .

واستطرد الساقى يقول !

ـ نعم ... كانا جالسين هناك ... الى هذه المائدة المجاورة للنافذة ، وكانا لا ينفكان يتطلعان منها كأنما يترقبن شخصا معينا يأتى عن طريق ساحة السيارات .

وأضاف الساقى فخورا بدقة معلوماته !

ـ وحدث أن طلب البحار العملاق قدحا من الجين، ولكن الرجل الضئيل ذا الشارب الصغير أمر بعدم احضار المشروب وأخذ بذراعه فى نفس اللحظة وانصرفا .

فتساءل سيمون : ـ ومتى كان انصرافهما ..؟

ـ بعد الساعة الثانية بعد منتصف الليل .

بعد الساعة الثانية ...؟ لقد انصرفت ايلين من دار المحافظة فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل . والمسيرة بالسيارة من دار الحكومة الى الفندق تستغرق حوالى ساعة .

اذن فقد نهضا فجأة ينصرفان حين رأيا ايلين فالدور قادمة الى الفندق عبر ساحة السيارات .

واذن فقد كانت مادموازيل فالدور هى التى كانا ينتظران .

وشكر سيمون تمبلار الساقى على ما أدلى به من معلومات وخرج الى ساحة السيارات ، ووجد هوبى يونياتز قابعا فى ركن المقعد يترقب قدومه .

وفى صوت ينبض بالاثارة قال سيمون :

ـ الى الميناء ... وأسرع .

وفى الميناء لم تكن « النجمة الجميلة » فى مكانها المعهود ملقية مراسيها ، بل كانت قد أبحرت واختفى كل أثر لها .

وقال هوبى فى اقتضاب : العصفور قد طار .

ونزل سيمون تمبلار من سيارته ، واقترب من جماعة من البحارة كانوا يتسكعون على الرصيف وسألهم :

ـ متى أبحرت النجمة الجميلة ؟

وأجاب أحدهم : فى ساعة مبكرة من صباح اليوم .

ـ والى أية جهة أبحرت ؟ .

واطلق البحار ضحكة مرحة وقال :

ـ الا ترى أيها السيد ان الحديث هنا لا يجدى وان جلسة فى البار قد تنعش الذاكرة وتطلق اللسان . ؟

وكانت دعوة صريحة لا يستطيع القديس أن يتجاهلها .

وفى البار مضى البحار يجيب على السؤال قائلا

ــ لا أحد يستطيع أبدا أن يعرف الوجهة التى تزمع النجمة الجميلة أن تتخذها .

وخرج سيمون حافظة نقوده ، وبدأ يتناول منهـا بعض أوراق البنكنوت . وتأمل البحار أصابع سيمون وهى تحصى الاوراق ، وفى عينيه بريق من الجشع .

وارتسمت ابتسامة عريضة على شـفتى البحـار واستطرد .

ــ آه ... الآن انتعشت ذاكرتى ... لقـد أبحرت النجمة الجميلة الى سافاناالامار .

وسافانا ميناء صغير فى الجـانب الشرقى من الجزيرة .

وأردف البحار : وقال الكابتن برترام ان على من يريد أن يلقاه أن ينتظره اذ أنه مسافر الى فنزويلا . فلماذا أخفى وجهة سفره ... لابد أن فى الامر سرا أيها السيد ؟ .

فابتسم سيمون وقال مؤمنا :

ــ اننى أقرك على هذا ... لا بد أن فى الامر سرا .

ثم أردف يسأل البحار وقد دفع الى يده برزمة البنكنوت :

ــ انك كنت حاضرا ساعة رحيل المركب ، فهل كانت هناك سيدة بين الركاب ؟..

فقال البحار فى دهشة واستغراب :

ــ أمعقول أن تركب سيدة مثل هذه المركب القذرة المخصصة لنقل البضاعة ؟ ..

ــ من يدرى .. ؟ اذا كانت فى عجلة منأمرها فانها لن تتردد فى الاقدام على هذ المخاطرة .

وقال البحار فى اقتضاب :

ــ لو اننى مكانك لسافرت من فورى الى سافانا لامار لاتأكد مما اذا كانت السيدة التى تسأل عنهـــا على ظهر النجمة الجميلة أم لا .

وما كان القديس فى حاجة الى هذه النصيحة .

لقد ثارت فى عروقه دماء المغامرة ، واستبد به التحدى ، فقرر أن يمضى الى النهاية .

فان هى الا لحظات حتى كان جالسا الى عجلة القيادة يطوى الطريق ، وكأن العجـــــلات لا تمس الارض ، وهوبى يونياتز قابع الى جانبه لا يتكلم .

كانت الخواطر تصطخب فى ذهنه ، ولكنه كان ملقيا باله الى الطريق فى عناية ، والا ما كان له أبدا أن يصل الى سافاناالامار .

اجتاز عشرات من القرى الاســـبانية الصغيرة ، وعبر العديد من الجسور والكبارى ، ومر بألوف الافدنة المزروعة .

وكان الهدف سافانا لامار ، حيث اتجهت النجمة الجميلة ، وعلى سطحها ــ أو فى زنزانة فيها ــ المـــادموازيل ايلين فالدور .

وأخيرا بلغا مدينة مانديفيل ، ولاول مرة تكلم هوبى يونياتز .

ــ اننى ظمآن يا زعيمى .

ولم يجب القديس ، وانما فتح أحد أدراج السيارة وتنـــاول منها زجاجة للجيب مليئة بالويسكى ، وقدمها الى مساعده .

ونزع هوبى الغطاء ، وعب من الشراب ، وان هى

الا لحظـــات حتى انفرجت أســـــاريره ، وعاودته الابتسامة .

وتابعت السيارة طريقها بنفس السرعة الخطرة الجنونية .

كانت هناك عشرات من الاسئلة تدور فى رأس القديس .

ترى هل سيعثر على الكابتن برترام ورفيقه الامير اميل . ؟ . وما السر فى قيامهما بعملية الاختطاف ؟ وما الذى يدعوهما الى الاهتمـــــام بالمـــادموازيل فالدور ؟ .. وما سر هذا المنديل الذى تملكه ايلين والمطرز بتاج الامارة ؟..

واستغلق عليـــه الامر ، ولم يجد لديه ردا على هذ الاسئلة :

وطرحها من ذهنه ، فليس هذا أوان الاهتمـــام بهــــا .

ان أهم ما يواجهه الان هو أن يعـــثر على ايلين وأن ينتزعها من بين أيدى خاطفيها .

واخترق مدينة مانديفيل طائرا بسيارته كالعاصفة الهوجاء ، واتخذ طريق البحر ، وأخيرا على البعـــد تراءت له ميناء سافانا لامار .

واقترب من الميناء ، وهدأ من سرعة سيارته ، وطافت عينــــاه بالقوارب والمراكب المتراصة ، ولكنه لم يجد من بينها أثرا للنجمة الجميلة .

أترى ذلك البحار الذى اطلعه على وجهــــة المركب خدعه عن عمد أم كان بدوره مخدوعا ..؟

وفجأة ضغط سيمون على الفرامل ، وانزلقت العجـــلات على الارض مرســـلة تزييقـــا عاليـــا

من أثر احتكاك العجلات ، وتشبث هوبى بمسند السيارة لشدة الاهتزاز ، ولكنه استطاع أن يقول :
— لقد رأيت السيارة البيضاء .
وقال سيمون : وكذلك رأيتها أنا .
وفعلا كانت السيارة البيضاء الفارهة التى تملكها ايلين رابضة فى الساحة الخلفية لاحد الفنادق الصغيرة .
وأوقف القديس سيارته على مبعدة من الفندق ، ورجع اليه مسرعا ، وحجز لنفسه ولصاحبه غرفة.
وقال لمساعده : اذهب الى الميناء ، وترقب وصول النجمة الجميلة . ثم أخطرنى على الفور بمجرد وصولها .
ترى ما الذى سوف تتكشف عنه الاحداث ؟ ..
هل ايلين فالدور حبيسة فى هذا الفندق ، أم انها لا تزال على ظهر النجمة الجميلة .. ؟
وجلس عند النافذة يرقب الطريق ، ودخان سيجارته يتصاعد فوق رأسه سحبا تتلوى .

الفصل الرابع

كان الغسق قد بدأ ينشر ظلاله القاتمة على الارض حين وصلت « النجمة الجميلة » تتهادى الى مينا سافانا لامار .
وأسرع هوبى يونياتز يخطر زعيمه بوصول المركب بمجرد أن رأى أشرعتها تلوح له على البعد وخف اليه سيمون مسرعا ، وانزويا على رصيف المين يترقبان وصولها .

رأيا الكابتن برترام واقفـــا على سطح المركب يتأمل الميناء مستندا الى السياج ... وبعد فتــرة وجيزة رأيا الامير اميل يتابع المركب ببصره وهى تدنو وتقـــترب والقت المركب مرســاها ، وهبط منهــا الربان ، وتقـــابل الرجلان ، فتحدثا برهة ، ثم استدارا ذاهبين الى الفنـــدق ، وفى أعقابهمـــا كان القديس وهوبى يونياتز على قيد بضعة أمتار منهما .

وكان الامر الجلى الذى لا شبهة فيـــه أن ايلين بعد أن اختطفت جاءت الى سافانا لامار فى سيارتها الخاصة ، وفى غضون هذا الوقت غادرت النجمة الجميلة ميناء كنجزتون ، مطلقة اشاعات بأنها تقصد فنزويلا .

واغلب الظن أن ايلين فالدور ستنتقل الى المركب من هذا المكان تحت جنح الظلام .

وقال القديس فى نفسه :

ــ اذن على أن أفتح عينى حتى لا يفوتنى موكب الاختطاف .

ودار القـــديس حول الفنـــدق فى خطى حـــذرة متلصصة حتى رأى النافذة التى ينشدها .

وعبر النافذة ، ومن خلال الستار المسدل استطاع أن يرى الكابتن برترام والامير اميل جالســـين الى منضدة تتوسط الغرفة ، ومعهما رجلان ترتسم على وجهيهما أمارات الشراسة والعنف .

وكانوا جميعا منهمكين فى لعب الورق ، ومع ذلك كان اميل لا يفتأ يتطلع فى ساعته من حين لاخر كأنما يترقب شيئا معينا .

ودون شك كان يترقب موعد حلول الظلام ... الموعد المقرر لاختطاف ايلين فالدور .

وشأن ابنيـــة جامايكا جميعا كانت النباتات المتسلقة تغطى واجهة البناء .

واقترب سيمون من المبنى ، وتعلق بالنباتات فى حذر ، وبدأ يتسلق رويدا رويدا فى حرص وحذر .

كان كل شيء آمنا يدعو الى الاطمئنان ، فالحديقة خالية من رواد الفندق ، وهوبى يونياتز قابع فى ركن منهـــا يقوم بعمل كلب الحراسة ، وكل شيء على ما يرام .

وانتهى القديس الى شرفة الغرفة ، وان هى الا لحظات حتى كان منزويا فى الشرفة ، دون أن يحس به المختطفون .

ومشى سيمون يجتاز الشرفـــة بنفس الخطـــوات المسترقة التى لا تسمع ينشد الغرفة التى حبست فيها ايلين .

كانت الغرف الثلاث الاولى مفتوحة أبوابها المتصلة بالشرفة ، أما الغرفة الرابعة فكان بابها موصدا .

وبالهام المغامر الذى لا يخطىء ولا يخيب قال فى نفسه :

ــ أغلب الظن أن ايلين حبيســـــــة فى هـــــذه الغـــرفة .

وتناول من جيبه آلة معدنية صغيرة أخذ يعالج بها مزلاج الباب ، وما لبث الرتاج أن استجاب اليه .

والفى نفسه داخل الغرفة الموصدة .

وهنـــاك على الفراش أخـــذت عيناه ايلين فالدور مستغرقة فى نوم هنىء .

لم تكن مشدودة الى السرير ، ولم تكن موثقـــة القياد ، فما من شك اذن فى أنها كانت مخدرة .

واقترب منها سيمون ، ومال فوقها يناديها ، ولكنها لم ترد النداء . هزها ، بيد أنها لم تتحرك ، وكان من المستحيل ايقاظها .

اذن فكيف يتاح له أن يحملها ويخرج بهـــــا من الغرفة . ؟ انه لا يستطيع أن يضعها فوق كتفـــه ويهبط بها الى المشى متعلقا بالنباتات المعرشة . .

ولا يستطيع أن يخرج بهـــا الى المشى والا لفوجىء بالنزلاء والخدم فى طريقه ... فما العمل اذن . . . .

لا سبيل له اذن الا أنيخرج بهـــا عن طريق الشرفة .

واخذ ملاءة السرير وربطها حول رسغى الفتـــاة وتحت ابطيها ، ثم ألقى بها فوق كتفه ، وخرج بهـــا الى الشرفة ومال فوق السياج ينادى صاحبـــه هوبى يونياتز .

وأقبل هوبى مسرعا يلبى النداء .

وقال له القديس : تلق هذه الهدية وطر بهــــا الى السيارة ... هيا اسرع .

وحاول أنيضع جسم الفتاة فوق سياج الشرفة ، وبدأ يدليها الى الحديقة فى حذر حتى لا تتمزق الملاءة حين سمع وراءه صوتا وحشيا شرسا يصيح به ،

ـــ أنت يا هذا ... ماذا تفعل .؟

واستدار القديس فى اللحظة المناسبة ورأى رجلا ينعطف عليه من الخلف . ولكن القـــديس تفـــادى الهجمة المفاجئة ، وتلقى الرجل بلكمة كأنها ضربة من مطرقة حديدية . وترنح الرجل ، وتهاوى فوق السياج وتداعى الســـــياج الخشبى تحت ثقله ، وان هى الا لحظات حتى كان الرجل يسبح فى الهواء هابطا الى الحديقة .

بيد أن زميله كان مقبلا يجرى ليساهم فى المعركة، وكان اميل رابضا على قيد خطوات يجثه ويشجعه، وتحمس الرجل ، ولكن حماسه تبدد أمام اللكمة التى تلقاها من قبضة القديس .

وعند هذا رأى الكابتن برترام أن الوقت قد حان لتدخله .

تقدم خطوة صوب القديس وهو يقول مهددا :

ما الذى جعلك يا صديقى تتدخل فيما لا شأن لك به . ؟

كان برترام عملاقا ضخم الجسم ، حتى لقد بدأ وهو يتحرك كأنه جبل يمشى على الارض .

وعاجله سيمون بضربة استقرت على فكه ، تلتها اخرى تحت عينه ، واعقبتها ضربة أخرى بحد الكف فوق قفاه ، فاذا بالربان العملاق ينهار ، ويتهاوى عند قدمى المغامر الجسور .

ولم يضيع القديس دقيقة واحدة ، فلو أنه تريث وانتظر لبدأت المعركة من جديد .

ارتد الى الوراء خطوتين ، وتعلق بالنباتات المتسلقة ، وقفز الى الارض .

وفى اللحظة التى استقرت فيها قدماه فى الحديقا كان اميل قد أخرج مسدسه ، وأطلق النار .

وطاشت الرصاصة الاولى والرصاصات التى توالت بعدها ، وحين خف الدوى وتلاشى لم يكن يسم الا صدى ضحكة القديس وهو يقول ساخرا :

- وداعا يا اميل .. سوف أفتقدك ... ؟

وانطلقت رصاصة أخرى صوب مصدر الصوت

ولكنها كسابقاتها طاشت هى الاخرى، ولم تصب هدفا.
وعلى دوى الرصاصات المنطلقة تصايح الناس واشتدت الجلبة ، وهرعوا يتبينون ما حدث .
ولكن القديس كان قد انطلق مبتعدا ينشد سيارته.
وسأل هوبى يونياتز فى لهفة حين جلس الى جانبه فى المقعد الامامى .
ــ اين ايلين ؟
وأجابه : أرقدتها على أرضية السيارة عند المقعد الخلفى ، فقد رأيت ان هذا آمن وأسلم .
ــ حسنا فعلت .. والان انطلق ، وبأقصى سرعة.
وابتعدت السيارة مسرعة تطوى الارض ، وتراءت وراءها سافانا لامار وهى تتلاشى وتختفى .
وهدأ هوبى من سرعة السيارة الطائرة وتساءل:
ــ ما الذى حدث يا زعيمى .؟ وما هىالخسائر ؟
ــ فك مهشم وسق مكسورة . أما عنق برترام فقد التوت ، ولعل بعض عظامها قد تكسرت .
وتعالت ضحكة رقيقة من المقعد الخلفى ، واستدار القديس مستطلعا .
كانت ايلين فالدور قد افاقت من غيبوبة المخدر الذى أعطى لها ، واستوت جالسة فوق المقعد .
وقالت وهى تسوى من شعرها المتهدل :
ــ لقد عرفتك على الفور ياسيمون حين سمعت صوتك تتكلم منذ لحظات .
فقال : ما كان أسعدنى بنجاتك .
فقالت ايلين : لقد فكرت فيك وهؤلاء الوحوش يقضون على لاختطافى ... قلت فى نفسى لو انى قبلت دعوة سيمون ونحن فى دار المحافظ لامضى بقية

السهرة معه لما تجاسر أحد على مهاجمتى .
فضحك القديس جذلا وهو يقول :
ــ هذا ثناء رائع يطيب لى لانه صادر من حسناء فاتنة .
وأخيرا انتهت بهم الرحلة الى مدينة كنجزتون .
وتوقفت بهم السيارة أمام فندق لاكوفيا .
وقال القديس : اننى اوثر أن ننزل بهذا الفندق بدلا من فندق ميرتيل حتى لا نستهدف لخطر جديد .
فقالت الفتاة فى لهجة تتسم بالقلق : ؟
ــ أتعتقد انهم سيطاردوننا ؟ ..
ــ هذا احتمال جائز .. وسنترك هوبى عند باب الفندق حارسا يقظا لينذرنا اذا ما رأى الصيادين فى أعقابنا .
فقال هوبى فى نبرة المتوسل :
ــ لا بأس يا زعيم ، ولكن ارجوك أن تبعث الى بشىء من الشراب فاننى اكاد أموت ظمأ .
فقال القديس : أعرف هذا ، فانك بئر لا ترتوى
وجلس سيمون تمبلار وايلين فالدور الى احدى الموائد ، وطلبا بعض الشراب .
وتطلع اليها سيمون وعلى شفتيه تتلاعب بسمة ارتياح . وردت عليه بابتسامة رقيقة ، ومن عينيها يفيض الاطمئنان والثقة .
وسألها القديس : ما الذى يبغون منك ... ما هدفهم من وراء اختطافك ..؟
والقت بيديها حول جيدها وقالت :
ــ الامر واضح .... كانوا يسعون الى عقد اللالىء والقرط الماسى .

فقال القديس : هذا عجيب ، فالقلادة وفردة من القرط موجودتان فى غرفتك فى فندق ميرتيل .

وارتسمت على وجهها أمارات الدهشة المشوبة بالقلق والحيرة .

واستطرد القديس يقول وهو يحدجها بنظرة ثابتة :

ــ ان اللص على اية حال لا يخطف ضحيته لكى يسرقها ... انه لا يكتفى بأن يسرقه فحسب ... كان من الهين على العصابة أن تسرق ما تشاء دون أن تجشم نفسها مؤونة تخديرك ونقلك فى السيارة عشرات الاميال .

فقالت فى نبرة تستبد بها الحيرة :

ــ الحق انى لا أدرى .. ان الامر يبدو غريبا .

ــ بل لعلك تدرين ... يجب أن تفضى الى بكل شىء .

ــ ولكن لا شىء لدى حتى أفضى به .

وتأملها القديس برهة ثم استطرد قائلا :

ــ الم تدركى حقيقة الموقف بعد فلو اننى لم أخف الى نجدتك فى الوقت المناسب ، ولو لم اربطك الى ملاءة السرير وادليك من الشرفة الى الحديقة ليتلقاك مساعدى هوبى ويحملك الى سيارتى ــ لو لم أفعل هذا يا ايلين لكان من المؤكد انك الان على ظهر المركب وهى تشق بك عرض البحر .

واستطرد القديس ضاحكا :

ــ وطبعا لن تكونى وحدك فى عنابر النجمة الجميلة بل سيكون فى رفقتك سرب من الفيران المتوحشة .

وتبدي الخوف في عيني الفتاة ، وعضت على شفتها لفرط انفعالها .

ثم تمالكت جأشها وهمست في صوت مختنق :

ــ اني غير فاهمة سر ما حدث ... ألعلهم كانوا ينوون أن يطلبوا فدية مقابل اطلاق سراحى . ؟

فقال القديس في بساطة واقتضاب :

ــ تماما .. هذا هو ما كانوا يهدفون اليـــــه يا صاحبة السمو .

وما ســـمعته يلقبها بصاحبة السمو حتى حملقت فيه ، وغمغمت تقول :

ــ ماذا ؟ . صاحبة السمو ..؟ ما معنى هــذا اللقب ؟

فأجابها : كنت أمزح ليس الا ...

ثم أردف يسألها وقد مال الى ناحيتها :

ــ ألم تسمعى ابدا أحــدا يتحدث عن الــكابتر برتزام . ؟ أو يشير الى اسم اميل .؟

وقبل أن تجيب دخل هوبى يونياتز الى البـــا مهرولا ، ومال الى أذن القديس هامسا ؟

ــ لقد جاءوا يا زعيمى ... رأيتهــم ينطلقو بالسيارة البيضاء أمام الفندق ... سيارة مادموازيا فالدور .

ولاذ القديس بالصمت برهة وقد استغرقه التفكير أما ايلين فقد تبدى الخوف في قسمات وجهها .

ومرت لحظات ، وبدأت ايلين تستعيد ثباتهــا وتبدد خوفها ، وارتسمت في وجهها أمارات العــ والصلابة والاعتداد بالنفس .

ثم قالت في صوت قوى واضح النبرات :

ــ سوف نرى .. سوف نرى لمن تكون الغلبة .

ورفعت رأسها شامخة متعالية .
ونهض القديس واقفا وهو يقول :
ـ لقد آن لنا أن ننصرف .
ولكن هوبى يونياتز بادر يقول فى ضراعة :
ـ انى لا زلت عطشانا يا زعيمى .
وأومأ سيمون الى الساقى يستدعيه وقال له :
ـ ضع ثلاثة كؤوس من « الكولينزا » فى قدح كبير ، وعجل به .

وجاء الساقى بالقدح الكبير ملآنا ، ولكن القدح ما لبث فى لحظة خاطفة أن أصبح فارغا .

وجلس القديس الى عجلة القيادة ، وبجانبه هوبى يونياتز ، أما ايلين فاستوت فى المقعد الخلفى ساكنة صامتة .

وقال القديس فى صوت هادىء لا ينم عما يدور بخاطره :

ـ ان لدى مسيو اميل مجموعة عجيبة من المناديل ... ان أطراف المناديل مطرزة بشعار يسترعى النظر : تاج الامارة .

نطق القديس بهذه الكلمات دون أن يدير رأسه الى ايلين ، ولكن نظراته كانت مركزة على وجهها الذى تنعكس صورته فى مرآة السيارة .

الفصل الخامس

خلال الرحلة لاذوا جميعا بالصمت لا ينبسون بكلمة .

واذ توقفت السيارة أمام فندق ميرتيل تكلمت ايلين فالدور لاول مرة .

قالت : شكرا لك يا سيمون .

وبسطت اليه يدها تصافحه ، واستبقت يده فى راحتها برهة .

وقال القديس : اذهب يا هوبى بالسيارة الى الجراج ، وسأصحبك فانتظر .

ورافق الفتاة ببصره وهى تجتاز مدخل الفندق داخلة اليه .. وتوقفت برهة عند البـــاب ، وتطلع اليها القديس والامل يراوده .

ألعلها تنوى أن تتكلم ... العلها عدلت عن الكتمان وتريد أن تفضى اليه بما تعرف .

ولكنها لبثت صامتة لا تنطق بشىء .

وقال لها : استمعى الى ... انك ما زلت حتى اللحظة فى أمان ، ولكن من يدرى ما سوف يخبئه لك الغد من أخطار .. نصيحتى اليك أن تنامى فى غرفتى بدلا من غرفتك .

وتضرج وجهها احمرارا وهمست : ولكن ...

فبادر يقاطعها : أما أنا فسأنام فى غرفتك الليلة ، وغدا ندبر الامر بحيث نبعدك عن الاخطار ... هذه نصيحة مخلصة فخذى بها .

واستطرد يقول : ان اميل جالس الان فى بهـــو الفندق ، وفى يده صحيفة يتوارى خلفهـــا ، معتقدا أننى لن أفطن الى وجوده ، فكونى على حذر ... ان الجو مازال مفعما بالاخطار .

وتأملته ايلين بنظرة شاردة ثم قالت :

ـــ حسنا ... سأنام فى غرفتك .

وكانت نظرتها اليه طافحة بالشكر والثقة .

وتأبط ذراعها وصعد بها الى غرفته .

وما كادا يدخلان حتى لحق بهما هوبى يونياتز ، بعد أن فرغ من ايداع السيارة جراج الفندق .

ووقف هوبى بباب الغرفة مشدوهـا حين رأى ايلين فالدور متمددة على الاريكة ... وبهذه السرعة استطاع القديس أن يدير رأس الفتاة ويغويهـا . فتستسلم بلا مقاومة وتمضى الى غرفته .. وما درى أن القديس انما أراد أن يحميهـا من الاخطـار التى تتهددها .

وقال هوبى : لقـد رأيت اميل جالسا فى البهو ، كما وجدت السيارة البيضاء فى الجراج ، بيد انى لم أقع على أثر للكابتن برتزام أو رفاقه .

وقال له القديس : اخرج الى الشرفة ولا تبرحها. وان لاح لك خطر جدى فلا تتردد فى اطلاق النار .

فقال هوبى وقد أشرق وجهه :

ـ شكرا لك يا زعيمى .. شكرا جزيلا .

فقد كان متعطشا الى اراقة الدماء ، فهنـاك شيئان لا يرتوى منهما : الويسكى والدم المراق .

وقالت ايلين : ما دمت ستقيم حارسا فى الشرفة فما الداعى أن أنام فى غرفتك ... ولم لا أعود الى غرفتى ؟ ..

فأجابها القديس : علينا أن لا نغفل عن المفاجآت غير المتوقعة ، فهيا يا فتاتى اعطنى مفتـاح بابك ، وانعمى بالاحلام السعيدة ، وكونى مطمئنة ، فهناك قديس يسهر عليك ويحميك ويرد عنك الاخطار .

وتطلعت اليه باسمة تحدوها الثقة . على حين تناول منها سيمون المفتاح ، وغادر الغرفة بعـد أن أوصد الباب وراءه بالمفتاح ملقيـا اليهـا بالتحيـة .

وأخذ الوقت يمر ، وساد الفندق جو من السكون، ذلك السكون الشامل الذى يلذ فيه للقديس أن يتحرك ويعمل ، وأن يوقع بأعدائه .

وكلما تزايد السكون اشتدت اليقظة بالقديس . حتى لقد قيل عنه فى يوم من الايام أنه ينام واحدى عينيه مطبقة والاخرى مفتوحة ترى وترصد .

وأخيرا حدث ما كان يتوقع .

سمع حركة خفيفة عند باب الغرفة ... غرفة ايلين التى احتلها بدلا منها .

كان الباب مغلقا ، وكانت هناك أداة صغيرة تدفع فى القفل بغية اغتصابه .

وزايل القديس الفراش دون أن يسمع له صوت، ووقف متربصا ملتصقا بالجدار .

وانفتح البـــاب رويدا رويدا ، وتسلل من فرجته شعاع ضئيل من النور صـــادر من المشى ، فشق أستار الظلام الكثيفة .

ولاح شبح فى فجوة الباب ، ما لبث أن دلف إلى داخل الغرفة ، وتبعه شبح آخر ، ثم انقفل الباب وطغى على الغرفة من جديد ظلام دامس .

واحس القديس بوجود شخصين معـــه فى نفس الغرفة تلفهما الظلمات الضاربة أطنابها ، وكان صوت تنفسهما المكتوم يتردد فى أذنيه واضحا جليا .

وابتسم القديس راضيا ، فقد جاءت ساعة لذيذة ممتعة من ساعات النضال الذى يعشقه .

ومرت بضع دقائق حافلة بالصمت والسكون .

وفجأة انبعث فى الغرفة شعاع رفيع من الضوء فقد أضاء أحد الطارقين الليليين بطاريته .

واستقر شعاع المشعل على الكرسى الفوتيل ، وعلى قميص النوم الملقى فوقه ، ثم على منضـــــدة الزينة ، وانتقل بعد هذا على الشبشب الموضوع أمام السرير .

وأخيرا استقر الضوء الرفيع على الفراش .

وهتف أحد الرجلين : يا الهى ... مـــا معنى هذا ؟

وانبعثت ضحكة القديس فى أرجاء الغرفة مجلجلة داوية .

وصعق الرجلان ، واستبدت بهما موجة طاغية من الذهول . ثم اندفع أحدهما أمامـــا ناحية الجـــدار حيث صدرت تلك الضحكة المخيفة .

وكان القديس فى انتظار هذه اللحظة المواتية . .

رفع ساقه : وتلقى مهاجمة بركلة فى بطنه كأنها رفسة جواد هائج ..

وترنح الرجل وسقط أرضا لا تصـــدر منه انة أو صرخة .

وتوقع القديس من الرجل الثانى أن ينقض عليه، وتأهب لملاقاته . ولكن الرجل الثانى كان حصيفـــا حكيما .. أطفأ نور بطاريته ، واندفع ناحية الشرفة التى كان بابها مفتوحا على مصراعيه .

وصرخ القديس ينبه هوبى يونياتز الى الخطـــر الداهم .

ــ احترس يا هوبى ..!

وكان هوبى يقظا متنبها ...

ما كاد الرجل يتعلق بالنباتات المعرشة ليهبـــط ليها الى الحديقة حتى دوى طلق نارى ..

وارتفعت صرخة داوية ، ثم ساد سكون مطبق سبقه صوت ارتطام جسم ثقيل بالارض .

ولم تكن أمام القديس دقيقة واحدة يضيعها ، فما يدريه انه لم يكن للطلق النارى دوى أيقظ نزلاء الفندق.

أسرع القديس ينادى ايلين وهو يقول :

ـ اسرعى ... عودى الى غرفتك ... عن طريق الشرفة .

وفى لحظة خاطفة كانت الفتاة قد رجعت الى غرفتها ، على حين انطلق القديس بدوره عائدا الى غرفته .

ومرت دقائق دون أن يحدث شىء ، اذ يبدو أن الطلق النارى لم يوقظ أحدا من سباته .

ومن جديد رجع القديس الى غرفة الفتاة ، فألفاها جالسة فى فراشها ، وقد أضاءت المصباح الخافت المجاور للسرير :

وتطلعت اليه متسائلة فى صوت خافت :

ـ ما الذى حدث يا سيمون ..؟

ـ لا شىء أكثر مما توقعت ... ان صديقنا اميل لا ينكص بسهولة ... لقد أوفد لزيارتك اثنين من أعوانه بدعوة منه اليك الى رحلة فى الارياف .

وحدثها بتفاصيل ما جرى ، وكيف تلقى أحد الزائرين بركلة فى بطنه تدحرج عندها على الارض

وقال ضاحكا : ـ ولا شك أن ركلتى أصابته بعسر هضم شديد . ولكننى ارى أنه قد استطاع أن يغادر الغرفة ، فلا بد أنه ذهب الى الصيدلية ليبتاع حبوبا لعلاج عسر الهضم .

ورغم رهبة الموقف ، فقد طابت دعابته للفتاة وانطلقت ضحكة مرحة .

وسألته : ــ والرجل الاخر الذى سقط من الشرفة ..؟

فأجاب : أخشى أن يكون عسر الهضم قد كتم أنفاسه الى الابد .

فتطلعت اليه فى دهشة وقالت :

ــ سيمون ..! بالله عليك كيف تمزح فى مثل هذا الموقف ..؟ ؟

والقى بيده على كتفها العارى فى رقة وحنان وقال :

ــ والان نامى يا صغيرتى ، وسوف تنعمين بليلة هادئة لا يعكر صفو أحلامها شىء على الاطلاق .

ثم دفع الرتاج وراء باب الغرفة ، وغادرها من خلال الشرفة .

وتلقاه هوبى الذى كان يحرس الشرفة بقوله :

ــ سأنزل لحظة الى الحديقة لاتبين ما كان من أمر الرجل الذى أطلقت عليه النار ، فلعلى استطيع ان كان لا يزال على قيد الحياة أن أجبره على الافضاء الى بما لديه من معلومات .

فقال له القديس : ــ بل دعه وشأنه ، فقد تجد عنده قوما يمطرونه بأسئلتهم ... ثم لا بد ان يكون رفاقه قد هرعوا اليه وتولوه برعايتهم ... والان هيا بنا الى أسرتنا ، فلست أتوقع الليلة جديدا .

وصح ما توقعه القديس فقد كانت ليلة هادئة ساكنة .

وفى الصباح وضعت أمامه صينية الفطور والى جانبه الصحيفة الصباحية ، وتناولها القديس والقى عليها نظرة سريعة يتصفحها .

وكان هناك عنوان بالخط الكبير يتصدر الصفحة الاولى :

« كارثة جوية فوق بحر المانش »
« مصرع الامير بول دي رولداف »
وعاد القديس يتلو العنوان مرة أخرى ، وقد عل
شفتيه ابتسامة خفيفة ، ثم مضى يقرأ النبأ المثير .
وكان فحواه أن بعض الفلاحين سمعوا صو
انفجار شديد يصدر من الجو ، فرفعوا أبصارهم ال
السماء ، ورأوا طائرة صغيرة والنار مشتعلة فيها
وتبين من التحقيق أن هذه الطائرة ملك للامير رولد
الذى كان يقضى بضعة أيام فى ضيافة اللورد بولفيث
فى اسكتلندا ، وانه آثر أن يعود جوا الى بلاده امار
رولدافيا . ولكن لسبب مجهول انفجرت طائرته
الجو ولقى حتفه .
وطوى القديس الصحيفة ، وفرغ من تناول فطور
واتصل بمحافظ الجزيرة ، ثم مضى الى غرفة الفتاة
وما أن رأته داخلا عليها حتى تلقته بابتسامة مشر
ترحب بـه .
وقالت له : ـ أتنوى أن تدعونى لنقضى فترة .
الوقت فى الاستحمام فى البحر .
فقال لها : ـ ليس الان ، فان لى حديثا هاما مـ
صاحبة السمو .
وساد صمت قصير ، ثم ندت عن صدرها تنهـ
خفيفة .
وقالت :
ـ فليكن اذن ... ما الذى تريده منى ..!
وتناول القديس سماعة التليفون ، واتصـ
بمساعده هوبى يونياتز ودعاه الى أن يلحق بـه
فلما جاء أصدر اليه تعليماته : ابحث عن النجمـ

الجميلة ، وقابل الكابتن برترام ، وسله عما اذا كان ينوى أن ينفذ انفاقه معك بالسفر الى فنزويلا .

واذ انصرف هوبى يونياتز لتنفيذ تعليمات رئيسه جلست الفتاة على المقعد الفوتيل متراخية تتطلع الى القديس مترقبة منه أن يستهل الحديث .

وبعد سكتة قصيرة قال يخاطبها :

ـ اسمحى لى يا صاحبة السمو أن أقول انك لم تنصفينى وان كنت ما ازال التمس لك بعد الاعذار .

وحملقت فيه بعينين تنمان على الدهشة دون أن تنطق بكلمة واحدة .

واستطرد : ـ لقد قلت لك أول يوم التقينا فيه انه سبق لى أن رأيتك ، وان غابت عنى عندئذ مناسبة هذا اللقاء ، أما الآن فقد ذكرت كل شىء .. لقد رايت صورتك من قبل فى احدى المجلات وقد كتب تحتها : « صاحبة السمو الاميرة رولداف فى الحفلة التى أقامتها سفارة رولدافيا » . فهل لى من حاجة بعد ذلك الى أن اقول انك لعبت معى لعبة غير عادلة ..؟ لم كتمت عنى حقيقة شخصيتك ..؟

فقالت : ـ انى مقرة بفضلك يا سيمون ، ويجب أن اعترف بأنك أسديت الى الكثير .

فقال : ـ وانى لعلى استعداد لان أفعل المزيد .

وناولها الصحيفة التى جاء بها معه ، واشار الى نبأ الكارثة الجوية التى وقعت عبر بحر المانش .

وما أن استوعبت معنى هذه الكلمات حتى انفجرت تبكى بمرارة .

ولما سكن روعها قال القديس يسألها :

ـ أحسب انك انت التى ستتولين الان حكم البلاد ..؟

فأومأت برأسها ايجابا وقالت :

ــ انى مقعد الحكم ، ولكن ما عساى أفعل ازاء شعبى ..؟

وقامت الى حقيبة صغيرة فى ركن من الغرفة وفتحتها ، وتناولت منها البوما وهى تقول :

ــ هذه الحقيبة تضم اوراقى الهامة وجواهرى وكذلك تاج رولدافيا . وقد أودعتها خزانة الفندق ليلة ان لبيت دعوة المحافظ الى الحفلة الساهرة ، ولولا أن فعلت هذا لسطا عليها اولئك اللصوص الذين اختطفونى . فانى على يقين من أنهم كانوا يسعون وراءها . وقد استعدتها صباح اليوم من خزانة الفندق .

وجعلت تقلب صحائف الالبوم أمام عينى القديس وهى تقول :

ــ هؤلاء هم أهلى وأفراد اسرتى ... واصدقائى ... واعدائى . وهذه مشاهد لبعض القرى فى بلادى .. وهذه صورة للبرنس بول التقطت له فى احدى حفلات القصر .

واشارت الى احدى الصور وهى تقول :

ــ اما هذا فهو الامير هوجو اعدى اعدائى واشدهم سطوة ونفوذا .

وشردت نظرات الاميرة بعيدة وهى تتمثل فى ذهنها صورة للدسائس والمناورات السياسية التى سوف تواجهها عند عودتها الى أرض الوطن

وقالت : ــ ان الامير هوجو يدعى ان له حقا فى اعتلاء العرش ، وأنا الوحيدة التى تحول دون وارتقائه ، فاننى أحق منه بالعرش طبقا لاحكام القانون .

فقال القديس معقبا : ــ ولعله هو الذن الذى يسعى لازاحتك من الطريق حتى يحلو له الجو ... ان لــه لوجها ناطقا بالجشع والشر .

وتناول منها الالبوم وأخَذ يتأمل الصورة .

وغمغمت الفتاة فى صوت حالم ناعم النبرات .

ــ لكم أكره أن اتولى حكم البلاد ... اننى لا اتمنى شيئا يا سيمون الا ن أبقى كما انا مجرد ايلين ... من اجلك أنت فقط .

واسندت رأسها الى صدره فى انفعال ، وهى تند عن صدرها تنهدة هزتها من الاعماق .

وفجأة تعلقت عيناها بوجهه وغمغمت :

ــ سيمون .. أتحب حقا أن تساعدنى ..؟

فأجاب فى كلمات سريعة :

ــ انى رهن اشارتك، فمرى يا أميرتى بما تشائين.

قالت : ــ انك وحدك الذى تستطيع أن تنقذنى كما انقذتنى من قبل .

ــ ولكن كيف ..؟ هل لك ان تفصحى ..؟

فقالت : ــ اذن أعرنى سمعك ... تلــك هــى خطتى .

أعارها سمعه ، وأفضت اليه بخطتها .

الفصل السادس

كانت امارة رولدافيا من الامارات الصغيرة ، وكان شعبها فقيرا قليل الدخل ، وميزانيتها دائما مضطربة، وطالما تعرضت البلاد لمحن متتالية تهــز اقتصادياتها هزات عنيفة .

وكان اللورد بولفيش ــ أخلص أصدقاء الامير بول الذى لقى مصرعه فى كارثة الطائرة ــ هو الذى يخف دائما الى نجدة البلاد من ازماتها المالية ، فينقل اليها شطرا من أمواله لاستثمارها فيها ، أو يقدم اليهـا قرضا طويل الاجل بفائدة شبه رمزية .

وكان له بسبب هذا أن يتدخل الى حد ما فى شئون البلاد ، وان تطلب مشـــورته فى الاوقات المتسمة بالحرج ، وان تؤخذ نصائحه بجدية واهتمام .

ومضى الامير بول يحدثه عن الازمة الماليـــة التى تعانيها البلاد . وقال له اللورد وقد استمع طويلا الى ما أدلى به :

ــ انى لاخشى يا عزيزى الامير ان أكون فى وضـ لا أملك معه ان أقدم مزيدا من المساعدات ... ا شحنة طوابع البريد التى بعثت بها الى فى المرة الاخيـ كانت حديثة العهد لا يرتد تاريخها الى أمد بعيـــد ، ؟ أن ادارة الضرائب اصبحت الان تلاحقنى وتضيق ع الخناق .

وتنهد الامير بول فى يأس وأسى وقال :

ــ وما عساى أعمل الان ..؟ ان شعبى فى ضا مالية خانقة ، ولا سبيل لى الى انتشاله من محنته بأن الجأ اليك لكى تمد لى يد العون .

وساد الصمت فترة بين الرجلين ، وعلى حـ فجأة اعتدل اللورد بولفيش فى مقعده وقال :

ــ ان لدى اقتراحا يا عزيزى الامير ... ما ر اذا أنا تقدمت اليك أطلب منك أن تزوجنى ابنتك .

وكان من أثر المفاجأة ان كاد الامير يثب مرتاعا ان اللورد فى مثل سنه تقريبـــا ، فكيف يزو

ابنته ..؟ وفضلا عن هذا فهو دميم الخلقة ، له وجه مستطيل شبيه بوجه الفأر ، وسحنته بشعة يمكن ان يخوف بها الاطفال .

انه حقا صديق حميم ومخلص ، ولكن كيف يرمى بابنته الحسناء ايلين الى مخالب هذا الوحش ..؟

واستطرد اللورد بولفيش يقول وقد رأى الامير صامتا لا يتكلم :

ــ لو انك رضيت أن تزوجنى ابنتك يا سيدى الامير فسوف أجعلها أسعد النساء ، وسوف أنقذ البلاد من محنتها .

وهم بأن يقول شيئا آخر ، ولكنه أمسك ، واتجهت عيناه الى باب القاعة ، فقد تبدت ايلين جامدة فى مدخلها تتطلع الى الرجلين ، وكان واضحا أن ما تفوه به اللورد تناهى الى سمعها .

والتفت اليها الامير وقال يسألها :

ــ أهذا أنت يا عزيزتى ايلين ..؟ اتراك سمعت ما قاله اللورد ..؟

فأجابت : ــ نعم سمعت يا أبتاه ..!

وابتسم اللورد ، وكان فى هذا أشبه بالثعبان وهو يكشف عن انيابه الحادة .

وقال الامير : ــ وما جوابك يا ابنتى ..؟

وتقدمت ايلين الى داخل القاعة صامتة مكتئبة الوجه . وكان الامير مدركا للسر فى اكتئابها ، فقد كانت موزعة الرأى بين حريتها فى اختيار من تتزوج ، وبين واجبها ازاء بلادها ، اذ كانت لا تجهل ان هذا الرجل بأمواله الطائلة هو الذى يملك أن ينقذ وطنها من أزمات مالية .

وقال الامير : ــ انى الح عليك يا ابنتى ان تلقى الى

بجوابك ، ولكن اعلمى فى الوقت نفسه ان لك ملء الحرية فى الرفض أو القبول ، ولا لوم عليك فى هذا او ذاك .

والتفتت الفتاة الى اللورد وقالت له :

ـ يجب ان اعترف ان هذا العرض من جانبك يولينى شرفا عظيما يا سيدى اللورد ، ولكن يجب أن اعترف ايضا انى لا أفكر الان فى الزواج .

ورماها اللورد بنظرة حاول أن يخفى ما يفيض بها من غضب وقال فى صوت هادىء :

ـ هل لى أن أفهم من هذا ان اجابتك هذه نهائية لا رجوع فيها .. ؟

وكان الامير هو الذى بادر بالرد بدلا من ابنته .

قال : ـ اعتقد يا عزيزى اللورد أن هذا الرد نهائى وانى لاسف من اجلك .

وقال اللورد فى صوت صارم النبرات :

ـ وانا ايضا آسف من أجل امارتك ... فمهما كان مدى ما أكنه لك من مودة وصداقة الا اننى ارانى مضطرا الى مطالبتك بديونى ، كما أصر على الوفاء بها خلال مهلة قصيرة .

تمثلت ايلين فى ذهنها هذه الذكريات الاليمة وهى جالسة تتحدث الى القديس فى غرفتها فى فندق ميرتيا فى جامايكا .

وروت هذه القصة للقديس ، ثم سألته :

ـ والآن ما رايك يا عزيزى سيمون .. ؟

فأجاب : ـ رأيى ان اباك كان رجلا عظيما .

وساد الصمت هنيهة ، ثم عادت ايلين تقول :

ـ وما العمل الان وقد أصبحت وحدى وجها لوجه

أمام هذا الوحش الذى لا يرحم اللورد بولفيش ..؟
فقال : ــ وهل نسيت اننى الى جانبك أذود عنك واحميك ..؟
ــ واذن فأنت تقبل رغم كل ما عرفت ، ورغم ما لم تعرف بعد .؟ هل أنت على استعداد لان تزج بنفسك فى جو حافل بالمناورات والدسائس ؟.
فتألقت ابتسامته وابرقت عيناه وقال :
ــ ألا تعرفين يا ايلين اننى رجل لا تطيب لى الحياة الا اذا كانت حافلة بالمغامرات ، مليئة بالتحدى والنضال ..؟
فقالت : ــ انى لتواتينى شجاعة منقطعة النظير حين أعرف انك ستكون الى جانبى ... اترضى حقا أن تصحبنى الى بلادى .
فتأملها برهة بنظرة نفاذة وقال :
ــ هذا هو ما اعتزمته ، ولكنى ما زلت فى حاجة الى بعض الايضاحات ...
فقالت : سلنى ما شئت .
فقال : أول شىء اريد أن استوثق منه هو أن اعرف ما اذا كنت حقا تشاطريننى وساوسى ..؟
فتساءلت : ــ ماذا تقصد ..؟
ــ أتعتقدين ان مصرع أبيك الامير بول كان حادثا طبيعيا ..؟
فاتسعت عيناها السوداوان وحملقت فيه مشدوهة وقالت فى نبرة مرتاعة :
ــ أتريد أن تقول ان ابى ...
ــ هذا ما خطر لى ... اغلب ظنى ان مصرع ابيك كان جريمة قتل وليس حادثا من حوادث القضاء

ثم استطرد : ــ كان الامير بول يعبر بحر المانش بطائرته الخاصة ، فلو أن الطائرة أصيبت بعطب لكان من اليسير عليه أن يحاول الهبوط على الارض اذ كان قريبا من البر ، كما كان فى وسعه أن يستنجد بالراديو . ولكن الفلاحين الذين شاهدوا الحادث قرروا ان الطائرة انفجرت فى الجو واشتعلت فيها النيران على الفور ، وهذا معناه أن الحادث كان ناما بفعل قنبلة موقوتة دست فيها . فهل تدركين الان ما عنيت ..؟

فأجابت : هذه الفكرة لم تخطر لى أبدا ببال .

ثم غمغمت : ــ ولكن من الذى يسعى الى قتله وهو الحاكم المحبوب من شعبه ...

وأجابها القديس : ــ الامر واضح ... الامير هوجو الطامع فى العرش أو اللورد بولفيش . ولدى الهام يوحى الى بأن الرجلين متواطئان معا . ولكن الدليل يعوزنا .. اننا نفتقر الى البرهان ، فلا مفر لنا من أن نسافر الى اوروبا سعيا وراء هذا البرهان المنشود .

وسادهما الصمت هنيهة ، وفجأة قالت ايلين :

ــ سيمون ... ما رأيك فى أن اتنازل عن العرش ..؟ انى أبغى حياة هادئة ، فلم لا أدع العرش لهوجو ما دام يطمع فيه .. ؟

فقال لها سيمون تمبلار معاتبا !

ــ وابوك ..؟ أتتخلين عن الثأر له ..؟ اتتركين دمه يذهب هدرا ..؟

فقالت : ــ اننى لا اتجاوز العشرين الا ببضع أعوام فما شأنى بالمؤامرات والدسائس .. انى أريد ا اعيش ... اريد ان استمتع بحياتى ..!

ـ أهذه الانانية يمكن ان ترضى اباك فى مثواه ..؟
وقبل ان تجيب فتح الباب ودخل العملاق هوبى يقول :
ـ لقد وصلت النجمة الجميلة الى ميناء كنجزتون قبيل الفجر بقليل ... وقد صعدت اليها وقابلت الكابتن برترام وهو ما زال عند وعده لى من ان يقوم بالرحلة التى اتفقت معه عليها الى فنزويلا ... انه لا يعرف حتى الان اننى اعمل معك .
واستطرد هوبى ضاحكا : ـ وقد رأيت اميل معه على ظهر المركب ، وقد عصب عينه اليسرى بضمادة من اثر اللكمة التى نالها منك .
وقال القديس : ـ وهل لديك من انباء اخرى ..؟
ـ نعم ... لقد كانت معى نسخة من الصحيفة التى نشرت نبأ انفجار طائرة الامير بول ، وقد اريتها لهما ، فشحب وجه اميل شحوبا شديدا ، أما الكابتن برترام فتلقى النبأ بلا مبالاة .
واستطرد هوبى يروى قصته مع الرجلين فقال :
ـ وقد قلت لهما فى معرض حديث عابر اننى التقيت بالامس فى الفندق برجل مغامر له شهرة ذائعة فى عالم المغامرات والجريمة . وسألنى الكابتن برترام عمن يكون هذا الرجل ، فأجبته بأنه يدعى سيمون تمبلار الشهير باسم القديس .
وأغرق هوبى يونياتز فى الضحك واردف يقول :
ـ لكم كنت أتمنى يا زعيمى أن تكون حاضرا لترى ما عراهما عندما ذكرت لهما اسمك ... لقد حملقا فى فزعين وبدا لى لشدة اضطرابهما كأنما لاح أمامهما الشيطان متجسدا ، وتبادل اميل مع برترام نظرة

تطفح رعبا ، وقد أدركا دون بادرة من الشك أن الرجـ
الذى اعترض طريقهما خلال الايام القليلة المـاضـ
ودافع عن المادموازيل لا بد أن يكون هو القديس
ولا أحد سواه .

وقال القديس يخاطب الفتاة :

ــ أرأيت يا ايلين اننى كنت على حق فـ
هواجسى ؟.. ان اباك لم يقتل الا وهو فى طريـ
العودة من زيارته للورد بولفيش . ومعنى هذا ا
متواطىء مع الامير هوجو ... يتخلصون من الامـ
بول بنسف طائرته ، وفى نفس الوقت يختطفونا
ويزعمون انك لم تتحملى صدمة الحزن على ابيـ
فاختفيت ، أو أصبت بلوثة من الجنون ، أو فقـد
ذاكرتك . وبذلك يؤول العرش الى هوجو لقمـ
سائغة .

ثم أردف يسألها :

ــ والان ... ما الذى تنوين ..؟

ردون تردد ، وفى صوت يتسم بالحزم قالت :

ــ انى معك ... لا بد من أن اقتحم الميدان ..
فهيا بنا الى المعركة والى النضال .

الفصل السابع

أصدر سيمون تمبلار تعليماته الى الفتاة بأن
ترح جناحها فى فندق ميرتيل لاى سبب كان . وزيا
الحيطة أمر هوبى يونياتز بأن يظل على مقربة حـ
بادر الى التدخل عند أول بادرة من بوادر الخطر .

وأسرع سيمون الى مكتب الاستعلامات ، و

صوت عال رفع من نبراته حتى ينتهى الى اسماع الحاضرين سأل الكاتب عما اذا كانت هناك طائرة تسافر مباشرة الى امارة رولدافيا ..؟

ورجع الكاتب الى سجل الطائرات ثم أجاب :

ــ كلا يا سيدى ... وانما يجب ان تهبط أولا ف باريس . ومن هناك تستقل طائرة الى رولدافيا .

وبهذا حقق القديس الهدف الذى يرمى اليه ، فلو ان فى بهو الفندق رقيبا لطار من فوره بالنبأ الى معسكر الاعداء . وهذا هو ما كان القديس يرمى اليه .

واشعل القديس سيجارة ، وغادر الفندق الى الجراج ، والقى نظرة سريعة على السيارة البيضاء وسيارة الاميرة ايلين .

وفيما كان يعبر الحديقة لمح الفتاة فى شرفتها فلوحت ه بيدها ، فصاح بها بصوت مرتفع :

ــ انى ذاهب الان الى المطار .

وان هى الا لحظات حتى كان فى سيارته منطلقا الى لطار ، وقد خلف المدينة وراءه بأنوارها المتألقة .

وانتبه فجأة على هدير سيارة مقبلة من ورائه قصى سرعتها . ولحقت به السيارة ، واطلق سائقها لفير مرات متوالية يطلب من القديس ان يفسح له طريق .

وداخل القديس الهام بأن هناك خطرا يقترب تربص بــه .

واطلق العنان لسيارته ، والسيارة الاخرى فى تابه وقد زادت من سرعتها ، وما زال صاحبها لق نفيرها منبها محذرا .

وفجأة انحدر القديس الى الطريق الجانبى غير

المرصوف ، فلم يكن امام السيارة الاخرى مناص من أن تتابع طريقها فى اتجاه مستقيم ، دون أن تحـــاول الانحراف بدورها الى الطريق الجانبى .

واطلق القديس ضحكة مرحة ، اذا كانت مناورته من الذكاء بحيث انقذته من رصاصة كان يمكن أن تنطلق من السيارة المطاردة الى راسه .

وحين بلغ المطار اتجه راسا الى شباك الحجز ، ولمح مسيو اميل يتسكع بجانب الشباك دون أن يحاول أن يتستر أو ان يتوارى عن بصر القديس .

وطلب القديس من الفتاة أن تحجز له ثلاثة مقاعد فى الطائرة المسافرة الى لندن . فقالت له :

ــ ما دمت مسافرا الى رولدافيا يا سيدى فانـــه يحسن بك أن تتجه الى باريس بدلا من لندن .

فقال لها : ــ شكرا ، ولكننى اوثر أن امر بلندن أولا ... واريد ان أرحل هذا المساء بالذات .

ولم تشأ الفتاة أن تناقشه ، فهو حر فى أن يختار الطريق الذى يروقه .

وقال لها : ــ انى عائد بعد اسبوع ، فهل لك أن تقبلى دعوتى الى العشاء ..؟ ان شهيتى الى الطعام تتضاعف عندما أكون فى صحبة حسناء فاتنة مثلك .

وابتسمت له الفتاة فى رقة وقبلت دعوته ، فأردف يقول :

ــ ان رقم رحلتى هو ٣٠٨ ولكن اذا استفسر عنى أحد فقولى له ان رقم الرحلة هو ٣٢٦ .

ووعـــدته بذلك ... وكان القـــديس على حق فى توقعاته ، فما ان ابتعد عن شباك الحجز حتى اقبل مسيو اميل على الفتاة يسألها ؟

ـ هل حجزت يا مادموازيل تذاكر سفر لمسيو سيمون تمبلار ..؟

فأجابت على الفور ودون تردد :

ـ نعم ... ثلاث تذاكر الى باريس على الطائرة المسافرة هذا المساء ... رحلة رقم ٣٢٦ .

فما كان لها ان تغدر بالرجل الذى دعاها الى العشاء بعد اسبوع ، والذى وصفها بأنها فاتنة حسناء ..!

ورجع القديس الى الفندق ، وامر مساعده هوبى بأن يبادر الى اعداد الحقائب تأهبا للرحيل .

وسأله : ـ ولكن الى اين يا زعيمى ..؟

ـ لا أدرى بعد ... ربما الى رولدافيا .

وتطلع اليه هوبى فى دهشة وذهول ، ولكنه اولاه ظهره ، ومضى مسرعا الى غرفة ايلين .

وتلقته بعيون تنحدر منها العبرات ، وأخذت بيده بين كفيها وقالت فى ضراعة :

ـ سيمون ... انى لا استطيع ابدا أن أجعلك تستهدف للاخطار ... ليس أمامى الا أن اتخلى لهوجو عن العرش .

وكان جسدها يرتجف وهى تتحدث اليه .

وقال لها : ـ دعك من هذه الاوهام يا ايلين ، وهيا احزمى حقائبك وعجلى .

وحاولت أن تجادل وتناقش ، ولكنه أبى أن يستمع .

وسألته : ـ ولكن الى أين ..؟

فأجاب : ـ مبدئيا الى رولداقيا ، ولكننا سننزل اولا فى لندن ، وانى لاراهنك على اننا سوف نجد اللورد بولفيش فى انتظارنا فى مطار كرويدن ليرحب بنا الترحيب اللائق . وعندئذ سأكون سعيدا بأن اتعرف

به ، ولست أشك فى اننا سوف نتبادل حديثــا مسليا طريفــا .

وغمغمت : ــ سيمون ... انى خائفة عليك ... ان هوجو نذل شرير ... انه لا يحجم عن شىء فى سبيل تحقيق اطماعــه .

وفى لحظة خاطفة نسيت ايلين كل شىء ... نسيت انها أميرة ، ونسيت ان هناك تاجا يتوج راسها .

وفى لحظة خاطفة نسى القديس ايضا انه مغامر له سجل حافل فى ملفات الشرطة .

واقترب منها خطوة ، واقتربت منه خطوة .

وتلامست منهما الايدى فى رقة وحنان .

وهمست الفتاة : ــ انى لم اعد الان خائفــة ... انى معك اشعر بالامن والاطمئنان ... سوف ننتصر ... حتما سننتصر ونتغلب على اعدائنا ... ما دمت الى جانبــى .

وعجب القديس فى نفسه كيف يقبل مــا عرضته عليه ... عرضت عليه ان يتزوجها ، وان يصبح أميرا على رولدافيا .

تاج فوق رأس القديس ..!

ان هذا ليكون اعجب شىء فى الدنيا .

وسحب يده من بين كفيها وقال :

ــ هيا يا ايلين ... احزمى حقائبك ... يجب ان نرحل فى الحال .

وبعد لحظات كانوا فى ســيارة منطلقة بهم الى المطار ... فى المقعد الامامى بجانب الســائق جلس هوبى يونياتز ، وفى الخلف جلست ايلين وسيمــون بجانبها ، ومسدسه فى يده ، وهو لا ينفك من لحظــ

لاخرى يستدير ويتطلع الى الطريق وراءه . أما هوبى يونياتز فكان واضعا يده فى جيب سترته فوق مقبض مسدسه متأهبا لمواجهة الاخطار المفاجئة .

ولكن الرحلة مرت بسلام ، ولم يستهدفوا لاى خطر .

وفى المطار لم يقعوا لاى أثر على اميل أو الكابتن برترام أو اى شخص يثير الشبهة .

وصعدوا الى الطائرة ، وشدوا الاحزمة حول وسطهم تأهبا للاقلاع .

ودارت المحركات، وبدأت الطائرة تنزلق على الممر، ومدت ايلين يدها وتشبثت بيد القديس الجالس بجانبها .

ثم تطلعت اليه ، وكانت عيناها تفصحان فى جلاء عما يدور فى طوايا نفسها .

كانت عيناها تنطقان بلغة سهلة مفهومة ... لغة لا تخطئها القلوب .

كانت العينان تقولان : ـ لكم احبك ... لكم احبك ..!

الفصل الثامن

كانت الطائرة الجبارة تشق طريقها فى الجو عبر المحيط الاطلنطى متجهة الى لندن ، وقد ضمت بين ركابها سيمون تمبلار وبجانبه جلست ايلين فالدور ، وفى المقعد الذى خلفهما استقر هوبى يونياتز .

وكانوا جميعا غارقين فى خواطرهم صامتين ، فهوبى يفكر فى الويسكى ويسائل نفسه كم كأسا يمكن أن

يغرى المضيفة بتقديمها اليه ، والقديس يتدبر الخط التي سيواجه بها خصومه اذا ما حانت ساعة المعركة وايلين تفكر فى انها لا شك أسـعد النساء ما دامت جالسة والى جانبها ذلك العزيز سيمون .

ومالت المضيفة الى القديس ، وانتزعته من خواطره حين سمعها تردد اسمه ، فاستدار اليها يتأملها . كانت على شفتيها بسمة ساحرة ، وفى عينيها وميض مشع فتان ، وفى يدها صندوق مشدود بشرائط زاهية الالوان .

وقالت له : — هذه اللفافة لك يا مسيو تمبلار .

فتناولها فى شىء من الدهشة ، فمن هذا الذى يعرف انه فى هذه الطائرة ..؟ لا أحد ..! فكيف اذن جاءته هذه اللفافة وهو على متن الطائرة ..؟

واستطردت المضيفة مفسرة :

— انها هدية لك ، وقد كلفت بأن اسلمها اليك بعد اقلاع الطائرة بساعة .

وشكرها القديس ، ووضع اللفافة فوق ركبتيه ، ومضى يتأملها ... كانت الشرائط الملونة معقودة عند نهايتا على شكل فراشة ، وكان مطبوعا على الصندوق اسم المتجر الذى اشتريت منه ... انه اكبر محل للحلوى فى كنجزتون .

وتساءل هوبى وهو يمنى نفسه بزجاجة من الويسكى فى بطن هذه العلبة :

— ما هذا يا زعيمى ..؟ زجاجة ويسكى ..؟

واستدار اليه سيمون من فوق كتفه قائلا :

— كلا بكل أسف ... بل علبة من الحلوى ا الشيكولاتة ....

ودهشت ايلين ، ومالت الى ناحيته قائلة ،
ــ أتراك تحب الشيكولاتة يا سيمون ..؟
فأجاب : ــ نعــم ... ولكن بشرط أن لا تكــون مسمومــة .
واغرقوا جميعا فى الضحك .
واستطرد القديس : ــ ومع ذلك فسوف نتقاسمها معــا .
ــ وحتى لو كانــت مسمومة فانــه يسعدنى ان اشاطرك مصــيرك .
ورفع سيمون الورقة اللاصقة التىفوق الصندوق، وبدأ يمسك بالشرائط الملونة ليفرغها ويفض اللفافة .
وفجأة قفز واقفا كانما مسه تيار كهربائى ، وجرى والصندوق فى يده الى مؤخرة الطائرة ، وجذب مزلاج « نافذة الخطر » .
اندفع الهواء الى داخل الطائرة فى موجة عارمة ، وتغير الضغط الجوى فجأة ، فاهتزت الطائرة اهتزازا شديدا ، وتمايلت يمينا ويسارا .
صرخت المضيفة : ــ ما هذا يا سيدى ..؟ ماذا تفعــل ..؟
وصرخ أحد الركاب : ــ هل انت مجنون ..؟
وصرخت احدى النســاء : ــ الرجل مجنون دون شك واغمى على امراة مسنة عجوز .
وصاح بعض الركاب والطائرة تتمايل بهم وتهتز :
ــ لقد هلكنا ... الطائرة ستسقط .
وكانت المضيفة تحاول جهدها أن تهدىء من ثائرة المسافرين ، ولكن على غير جدوى .
وفى خلال هذا الهرج والمرج ، كان سيمون تمبلار قد قذف بالصندوق الى الهواء ، ثم اسرع يغلق النافذة

كما كانت ، وارتد الى مقعده ثانية .
وأقبلت عليه المضيفة وفى عينيها لوم شديد ، وفى نبراتها صرامة حادة . وقالت له :
ــ لماذا فعلت هذا يا سيدى .؟ الا تعرف يا سيدى أن مثل هذا المزاح قد يؤدى الى سقوط الطائرة ..؟
وقبل أن يجيب ، سمع دوى انفجار هائل خارج الطائرة ، وشاهد الركاب جميعا وهج الانفجار وسمعوا الدوى الهائل .
وقال سيمون يرد على المضيفة :
ــ وما رايك انت فى هذا المزاح ..؟ الآترين انه كان كفيلا بأن يدمر الطائرة بمن فيها ..! لقد كانت فى الصندوق قنبلة موقوتة ، فما أن افك الشرائط الملفوفة بها حتى تنفجر وتنسفنا جميعا .
وسمع الركاب الكلمات التى نطق بها القديس ، فانطلقت من السنتهم كلمات الشكر والاعتراف بالجميل بعد أن كانوا ينحون عليه باللوم والتقريع منذ لحظات.
وجاء الطيار مسرعا من غرفة القيادة ، وتساءل عما حدث ، وافضت اليه المضيفة بالتفاصيل ، وقالت :
ــ وقد سمعنا دوى الانفجار ، ورأينا القنبلة وهى تنفجر خارج نوافذ الطائرة .
وسألها الطيار عن الطريقة التى سلمت بها الهدية اليها ، فقالت ان رجلاً ضئيل الجسم ذا شارب صغير هو الذى سلمها لها ، وطلب منها أن تقدمها الى مسيو تمبلار بعد اقلاع الطائرة بساعة واحدة .
وقال القديس : ــ انه اميل دون شك ... صديق لى ... او بالاحرى عدو لى ..
واتصل الطيار بالمطار ، وادلى اليهم باسم الرجل

واوصافه ، وقام البوليس بالتحقيق ، وثبتت صحة القصة ، وقبض على اميل رهن التحقيق .

وتابعت الطائرة مسارها دون ان يقع حادث جديد .

وقال القديس يخاطب ايلين وقد عاد الى مقعده بجوارها :

ــ أرأيت يا ايلين ..؟ ان أصدقاءنا لم يعد فى طوقهم ان يصبروا أكثر من هذا ... لقد قرروا أن يقدموا على خطوة حاسمة ...

فقالت فى صوت يفيض رقة :

ــ سيمون ... اننى ارى أنه يجب علينا أن ننسحب .

فضحك فى جذل وقال :

ــ وهل يسعنا الان ان ننسحب ..؟ ألا ترين اننا الان فى خضم المعركة ..؟ ان اصحابنا لا يتورعون عن شىء ، ونحن ايضا لا يمكن ان ننكص أو نتراجع ... انها معركة حتى الموت .

وقالت ايلين : ــ فليكن اذن ... سنكون معا حتى النهاية .

وحين استقرت الطائرة على الارض فى لندن فى مطار كرويدون كان فى انتظارها رهط غفير من الناس : المصورون بآلاتهم ، والصحفيون بأقلامهم ومذكراتهم ، ورجال الشرطة والمحققون ، وجمع من الفضوليين .

وحين بدت ايلين على سلم الطائرة لمعت انوار آلات التصوير ، والتقطت لها عشرات من الصور .

وفجأة شق الجمع المتزاحم قرد ضخم متجها الى الطائرة ... أو بالاحرى انسان على صورة قرد .

كان رجلا دميما ، بشع الخلقة ، حتى لقد كان

القديس على يقين من ان الرجل كان قردا ، ثم تحول الى انسان بطريقة ما .

واقبل القرد ــ اعنى الرجل الدميم ــ على ايلين، وبسط اليها يديه ، وهو يقول :

ــ مرحبا بك يا عزيزتي ايلين ... او لعله ينبغى ان أقول يا صاحبة السمو .

وشد على يديها بمخالبه يصافحها .

وهذا القرد لم يكن الا اللورد بولفيش اعز صديق لابيها الذى لقى مصرعه فى كارثة الطائرة .

وقال لها وفى صوتهنبرة من الاسى :

ــ لقد قرأت عن الحادث الخطير الــذى أوشكت طائرتك ان تتعرض له . ولكن يجب أن ننسى كل هذا، وان نحمد الله على سلامتك ونجاتك ... واســمحى لى ايضا ان أقدم اليك خالص العزاء على وفاة ابيك ، ولكن أرجو دائمــا أن تذكرى اننى الى جانبك احميك وأقدم اليك كل مساعدة تريين .

وكانت ايلين ترد على هذه التحيات والمجاملات فى برود واقتضاب .

وجاء رجال الشرطة ، وفرقوا الجمع المحتشــد ، وأفسحوا طريقا للاميرة وصحبها .

وقالت ايلين : ــ ان من فضل الله على يا عزيزى اللورد بولفيش ان قيض لى فى شخص صديقى مسيو تمبلار صديقا انقذنى من الموت ، فلولاه لما كنت الان على قيــد الحياة .

وقدمت ايلين الرجلين احدهما الى الاخر .

وقال اللورد بولفيش يخاطب سيمون :

ــ انى لا استطيع يا عزيزى مسيو تمبلار أن افيك

حقك من الشكر والاعتراف بالجميل ، فان ايلين غالية عندي ، اذ لعلك لا تعلم ان اباها الامير بول كان اعز صديق عندى . وانه ليسعدنى ان تحل ايلين مكـــان ابيها عندى .

وقادهم اللورد الى سيارته التى كانت فى الانتظار وهو يقول :

ــ انك ستنزلين فى قصرى يا أميرتى .

فأجابت : ــ شــكرا ، ولكننى انوى ان اســافر الليلة الى رولدافيا لاباشر مهام منصبى .

فقال اللورد : ــ ولهذا يجب ان استقبلك بضــعة أيام لنتدبر معا ما سوف تفعلين ، فان رولدافيا فى محنة مالية ، وانك لتعلمين ان اموالى رهن اشارة منك .

وتطلعت ايلين الى سيمون تمبلار فأومأ اليهــــا باشارة خفية ان تقبل الدعوة الموجهة اليها .

ومضى اللورد يلح عليها ، وابدت ايلين شيئا من التردد ، واخيرا قالت :

ــ شكرا لك يــا عزيزى اللورد ... لقــد قبلت دعوتك ، ولكن ... ونظرت الى ناحية سيمون تمبلار ، فقال اللورد :

ــ فهمت ... انه ليسعدنى ايضــا أن استضيف صديقك مســيو تمبلار ... ان قصرى مفتوح لــك ولاصدقائك .

وحين رآها تتطلع الى هوبى سارع يقول :

ــ وكذلك مسيو هوبى يونياتز مدعو معك .

وان هى الا لحظات حتى كانت السيارة تطير بهم الى قصر اللورد بولفيش .

وفى خلال الطريق انشأت ايلين تتحدث الى اللورد .

قالت : ــ انها لعناية الهية ان يكون مسيو تمبلار

بجانبى ، فانه لم ينقذنى فحسب من القنبلة التى كادت أن تنسف الطائرة التى كنا نستقلها ، وانما انقذنى قبل ذلك مرتين اثناء احداث عجيبة .

فقال اللورد : ــ انقذك مرتين ..! الحق انى لا ادرى كيف اشكره .

ولكن كلماته كان ينقصها الحماس ونبرة الصدق . وروت له ايلين ما كان من حادث اختطافها ، والمحاولة الثانية التى جرت بعد ذلك .

وتساءل اللورد : ــ هذا عجيب ... ولكن من هذا الذى يفكر فى الاعتداء على اميرة بريئة مثلك لا اعداء لهـــا .

فأجابت ايلين : ــ انه ليبدو اننا ازاء عصـــابة اجرامية منظمة .

فقال اللورد معترضا : ــ وهل هذا معقول ..؟

وفى غضون هذا الحديث كان سيمون تمبلار ملتزما جانب الصمت لا يتدخل بكلمة واحدة كأنما الامر لا يعنيه ولا شأن له به ، وكأنهم لا يتحدثون عنـــه ولا يشيدون بأفعاله .

وقال اللورد : ــ اذا كان الامر كذلك ، فان لـــك يا ايلين أن تعتمدى على ... ســـأقف الى جانبك ، واحميك ، واذود عنك الاخطار ... ان لي اصدقاء من ذوى النفوذ .

ثم أردف وهو يتطلع الى تمبلار بنظرة جانبية .

ــ وكبار المسئولين فى البوليس من اعز أصدقائى .

ولم تفت هذه النظرة القديس ، فانبرى يتكلم لاول مـــرة .

قال : ــ هذا رائع يا عزيزى اللـــورد ... اذن

ارجوك أن تستفسر عنى من اصـــدقائك الكبـــار فى البوليس ... ربما كنت انت تجهل اسمى ، أمـــا هم فيعرفون من اكون ... ان لى سجلا حافلا .

فقال اللورد : ـ حقا ... لم يخطر لى هذا ابدا .

فقال سيمون تمبلار على مهـــل : ـ اننى القب بالقديس .

ـ القديس ..!

ثم التفتت اللورد الى ايلين وقال :

ـ لست أدرى ما اقول يا ايلين ... ولكن يبـــدو لى انه كان ينبغى أن تفكرى مرتين قبـــل أن تختارى اصدقاءك .

واجابت الفتاة فى اقتضاب : ـ اننى اعرف كيف اختار اصدقائى .

واخيرا ابطأت بهم الســـيارة وقـــد اشرفت على القصر .

ولكنه لم يكن قصرا ، وانما كان قلعة منيمة ... كان حصنا ، بل لعله كان سجنا ... هكـــذا خطـــر للقـــديس .

بوابة ضخمة من الحديد يقوم عليهـــا الحراس ، واسوار عالية يستحيل أن يتخطاها الانسان ، وفضلا عن ذلك فهى مفرودة بالاسلاك الشائكة . وما من شك ايضا أن فيها كلاب حراسة متوحشة يطلقونهـــا فى الحدائق المترامية اذا ما هبط الليل .

وتوقفت السيارة أمام باب القصر ، وهبط منهـــا اللورد بولفيش ، ومد يده الى ايلين يسندها عنـــد نزولها وهو يقول :

ـ هذا هو قصرك يا عزيزتى ايلين .

فتطلعت اليه الفتاة فى دهشة وردد : ـ قصرى .؟

ـ طبعا ... فأنت الاميرة وكلنا رعاياك .

ثم أردف فى صوت هامس لا يكاد يسمع :

ـ لو انك شئت لكان قصرك حقا .

كان صوته منخفضا ، ولكن كلماته بلغت اذنى القديس ، وتمنى عندها لو انه عاجله بلكمة يهشم بها وجهه الدميم الذى لا يختلف فى شىء عن وجوه القرود .

ودخلوا الى القصر ، وقال اللورد يخاطب وصيفه :

ـ اذهب بسمو الاميرة الى جناحها .. الغرفة الزرقاء . أما انت يا مسيو تمبلار فسوف تنزل فى الغرفة الحمراء ، وما أحسبك الا مولعا باللون الاحمر، فانه يذكرك بلون الدم .

فأطلق القديس ضحكة قصيرة وقال :

ـ بل انه يذكرنى بشىء آخر ، فقد كانت جدتى تقول دائما ان اللون الاحمر نذير الخطر . فولعى باللون الاحمر يرجع الى انه نذير أوجهه الى اعدائى .

وتطلع الى اللورد بنظرة لا يخفى معناها .

وما أن احتوته غرفته حتى أخرج القديس مسدسه، وفحصه ، ثم ابدل ثيابه ، ودس المسدس فى جيبه .

وبعد هذا أخذ يفحص مداخل الغرفة ومخارجها .

انها بمثابة سجن لا يمكن الفرار منه ، فهى عالية عن مستوى الارض لا يمكن القفز منها ، وجدرانها الخارجية ملساء ليست بها نتوءات يتشبث بها المرء عند هبوطه عليها ، ولو انه حاول لانزلق من شاهق ودقت عنقه . وكان يحيط بالقصر خندق مملوء بالماء ، ولكن القفز من نافذة الغرفة الى مياه الخندق والسباحة بعد ذلك أمر مستحيل ، لان المياه كانت مليئة بالصخور ذات الرؤوس المدببة .

كان القصر سجنا منيعا لا سبيل الى الخروج منه .
وغادر القديس غرفته ، وفيما هو يجتاز الطرقة سمع همسة تناديه ، فالتفت وراى ايلين على بـــاب غرفتها تدعوه اليها ، فلما وافاها دعته الى الدخول ، وأوصدت الباب .
وقال لها سيمون : ــ ألا تخشـــين اثارة الاقاويل حول اسمك ..؟ رجل فى غرفتك والبـــاب موصـــد بالمفتاح .
وضحكت غير مبالية ، فاستطرد :
ــ انهم قد يستغلون ذلك لتنحيتك عن العرش .
ــ فقالت فى استخفاف وهى تبتسم !
ــ وهل تحسبنى متشبثة بهذا العـــرش ..؟ الم تفهم بعد حقيقة مشاعرى ؟
وكان مدركا حقيقة مشاعرها ، ولكنه لم يكن يبغى أن يطرق هذا الموضوع ، فلما رأته صامتا بادرت تنتقل الى شئ آخر .
قالت : ــ هل فحصت المكان ..؟
فأجاب : طبعا .. ولقد أدركت اننى سجين هنا .
وكانت هى نفســـها قد أطلت من النـــافذة ورأت الجدران الملساء ، والخندق المملوء بالمياه والصـــخور القاتلة .
وهمست : ــ ومـــع ذلك فانى مطمئنة .. ما دمت انت الى جانبى يا ســـيمون فان ذرة من الخـــوف لا تداخلنى .
واقتربت منه ، وألقت برأسها على صدره ، وكان جسدها يرتجف ، واستطاع أن يسمع دقات قلبها .
وبدأت رأساهما تتدانيان ، واشتدت رجفتها ، ورفعت اليه رأسها ، وبدأت شفتاها تتقابضان .

وفى هذه اللحظة دق جرس التليفون الموجود فى الغرفة .

ورفعت ايلين السماعة ، وسمعت صوت الوصيف يقول :

ـــ مكالمة من لندن لصاحبة السمو الاميرة .

وبعد لحظات قالت : ـــ آلو .. من الذى يتكلم ..؟

وكان القديس يرقبها وهى تنصت ، وان لم يعرف مع من كانت تتحدث .

وحين أعادت السماعة مكانها قالت له .

ـــ انه الامير هوجو .. انه الآن فى لندن قادما من رولدافيا ، وقد أصر على أن يحضر الليلة لمقابلتى ..

فقال القديس : ـــ هذا دليل جديد على انهما متواطئان ... ولقد اتوا بنا الى العرين ، وعندئذ يبرز الوحشان لمهاجمتنا ، ولكن من حسن الحظ اننى أمرت هوبى أن يعتذر فى اللحظة الاخيرة عن المبيت فى القصر ، وبذلك يتسنى له أن يبقى فى الخارج حرا طليقا وأن يخف الى نجدتنا .

وعندما هبطوا لتناول العشاء كان الامير هوجو متراخيا فى مقعد فوتيل ، وسيجاره الضخم بين اصابعه .

وتلقى هوجو الاميرة بتحية ودية ، ولكن القديس استطاع أن يستشف فى أعماق عينيه مدى ما يكنه لها من كراهية وبغض .

واستدار فى مقعده حيث قدموا اليه القديس ، وأخذ يتأمله بنظرة ثاقبة نفاذة .

وعلى شفتى الرجلين ـــ القديس وهوجو ـــ ارتسمت ابتسامة عريضة ، وتلاقت بينهما النظرات

لم تكن الابتسامة عادية ، ولم تكن النظرات عادية ... وانما كانت أشبه بسيوف المتبارزين وهى تتلاقى وتتباعد .

كل نظرة فيها دعوة الى النضال ، وكل ابتسامة تنطوى على التحدى .

وقال الامير هوجو يخاطب القديس :

ــ ان رولدافيا مدينة لك يا مسيو تمبلار بما أسديت اليها .

فأجاب : ــ وانى لعلى استعداد لان أفعل من اجلها المزيد .

فقال هوجو : ــ حقا .. ألك اذن فيها مصالح معينة ..؟

فأجاب : ــ وانى لعلى استعداد لان فعل

ــ حتى الآن .. لا ..! ولكن من يدرى ما يخبئه المستقبل .

وهكذا بدأ الهجوم ، منذ فرقع السلاح .

لم يكن الامير هوجو من طراز اميل الذى يتوارى خلف غيره ويعمل فى الظلام .. ولم يكن من طراز برترام الذى لا يعرف الا العنف والوحشية .

وانما كان طرازا مختلفا يلذ للقديس أن يناجزه .. كان شديد الذكاء ، شديد الدهاء ، وهذا هو الرجل الذى يثير شهية القديس الى القتال .

وقال الامير هوجو : ــ لقد ذكروا لى انك ذلك الرجل الملقب باسم القديس .

وأجاب تمبلار : ــ انهم لم يخدعوك يا صاحب السمو .

ونفث هوجو حلقة كبيرة من الدخان من سيجارة

وقال :
ــ والقديس هو ذلك المغــامر الدولى المجرد عن الضمير .
ورفع رأســه ، وركز نظراته على عينى القديس فى تهكم واستخفاف .
وعصف الغضب بتمبلار ، ولكن ابتسامته لم تزايل شفتيه . بيد انها كانت ابتسامة شبيهة بحد السيف البتار .
وقال فى صوت هادىء النبرات :
ــ وفى هذا أيضا لم يخدعوك يا ســـمو الامــــير ، فالقديس مغامر بلا ضمير .
وانبـــرى اللورد بولفيش يقول ليغـــير مجـــرى الحديث !
ــ أعتقد ان العشاء جاهز الآن .
ولكن الامير لم يلق بالا الى هذه المقاطعة ، فاستطرد يقول :
ــ انه لقدر عجيب أن يكتب على رولدانيا أن يكون مغامرا من تصدى للدفاع عن أميرتها .
فقال القديس : ــ وما زلت على اســـــــتعداد للدفاع .. فاذا رايت سموكم أن رولدافيا فى حاجة الى جهودى فسوف تجدنى دائما رهن اشارة منكم .
فقال الامير فى نبرة هازئة .
ــ سوف نرى .. ! سوف نرى .. !
ولم تطق ايلين صبرا .
تحولت الى ابن عمها وقالت :
ــ لقــد قررت أن اعين مســيو تمبــلار مدير للحرس .

فقال الامير ساخرا : — كان أولى بك أن تعينيه حارسا لخزائن المال والمجوهرات ، فهو بسمعته المعروفة اجدر الناس بالمحافظة عليها .

فقالت : — انه على الاقل قد اثبت جدارته للمحافظة على حياتى ضد هجمات أعدائى .

ونهض اللورد واقفا وهو يقول :

— العشاء جاهز .. تفضلوا ..

الفصـــل التاسع

كان العشاء فاخرا تعددت الوانه ، وكانت الصحاف وأدوات المائدة من الفضة الخالصة الموشاة بالذهب ، أمام القاعة فكانت شعلة متقدة من الاضواء المتألقة .

كانت الاميرة ايلين تتصدر المائدة ، وامامها فى الناحية الاخرى كان يجلس اللورد بولفيش . وخطر للقديس انهما تمثالان رائعان ، أحدهما يمثل الجمال فى أروع صوره ، والآخر يمثل القبح والدمامة فى ابشع اشكالها .

أما الامير فجلس الى يمين الاميرة ، وفى مواجهته الى يسارها جلس القديس .

كان القديس وهوجو يتبادلان الابتسامات وكلمات المجاملة ، ولكنها كانت مشحونة بالتوتر ، وابتسامات تنفث سما دفينا .

وقال الامير : — لقد بلغنى انك سافرت من جاميكا الى سافانا لامار لكى تكون فى ركاب الاميرة ، تحميها وتذود عنها ، فهلا ترى يا مسيو تمبلار انها رحلة طويلة شاقة ..؟

فأجابه القديس : ــ بل انهــا فى الحق رحلـــة جنونية .

ــ وقد فهمت أيضا انك لم تكن تعرف الاميرة من من قبل ..؟

ــ اما فى هذا فانت مخطىء يا سمو الامير ، فقــد سبق أن قدمنى محافظ جامايكا الى سموها اثناء الحفلة الســاهرة ، ولكنه ذكر الى انهــا تدعى مادموازيل فالدور .

وقال الامير : ــ يا له من محافظ عجيب الشأن ..! كيف يدعو الى حفلاته رجلا .. رجلا ...

وامســك لا يتم عبــارته ، ولكن القــديس بادر يقول :

ــ انك تريد ان تقول رجلا مشبوها .. مثلى ..! ولكن القوم الشرفاء يحتاجون احيانا الى المشبوهين من امثالى ، وكذلك كانت الاميرة فى حاجة الى .

وساد الصمت برهة ثم قال هوجو :

ــ ترى هل تستطيع يا مسيو تمبلار أن تعلل لى السبب فى هذه الاعتداءات التى كانت ابنة عمى هدفا لها ..؟

وتأمله سيمون بنظرة متحدية وقال :

ــ لعل الامر من الوضــوح بحيث لا يفتقــر الى استفسار ... ان وجودها على قيد الحياة يضايق بعض الناس ، فرولدافيا لا تتسع لها ولاشــخاص آخرين فى نفس الوقت .

ــ محتمل .. محتمل جدا ... ولكن هب ان محاولة الاختطاف نجحت ، فمن الذى يستفيد منها ..؟

ولم يتردد القديس .. القى بقنبلة فى بساطة ..

قال : ـ من الذى يستفيد منها ..؟ الامر واضح جدا ... أنت الذى تستفيد يا سمو الامير .

أما الامير فاكفهر وجهه ، فى حين ضحك القديس فى جلال ، وحذا اللورد بولفيش حذوه ، بينما طلت ايلين متجهمة .

وتمالك الامير غضبه ، وأطلق ضحكة مرحة وقال :

ـ هناك احتمال آخر .. ما يدرينا أن محـــاولة الاختطاف مناورة ذكية أريد منها أن تمهد أمامك السبيل يا مسيو تمبلار للتقرب من الاميرة لغرض فى نفسك ..

فأجابه تمبلار فى بساطة ودون انفعال .

ـ وهذا جائز ايضا ، فقد أثارت مجوهرات الاميرة شهيتى .

وللمرة الثانية اطلق ضحكته المعهودة .

وبعد سكتة قصيرة تحول الامير هوجــو الى ايلين يسألها :

ـ ما الذى تنوين يا عزيزتى ايلين ..؟

ـ عن أى شىء ..؟

ـ رولدافيا طبعا ... متى تنوين أن تســـافرى اليهـــا .

ـ فى الحال ... ولولا أن اللورد بولفيش أصر على استضافتى لكنت الليلة فى طريقى اليها .

وقال لها الامير هوجو فى نبرة متئدة :

ـ انك تخدعين نفسك يا عزيزتى ايلين ان تصورت انك ستجدين فى رولدافيا ما تنشدين من راحة وسلام .. انها بلاد فى محنة مالية ، يكابد أهلها فقرا مدقعا . وفيها احزاب متنافرة تكن العداوة لبعضها البعض .. بل أن فيها نفرا من المتآمرين المسلحين يدبرون الانقلابات

ويحيكون المؤامرات ، ولا يفكرون الا فى الاغتيالات .
وتطلعت اليه بنظرة مباشرة وقالت :
ــ ألعلك تريد أن تقنعنى بالنكوص على أعقابى ..؟
ــ بل أردت ان ابصرك بحقائق الامور .. ان رولدافيا فى حاجة الى قبضة قوية تحكمها بالحديد والنار .
فقالت : ــ فهمت .. انك تريد أن تقول انه ليس لامراة ان تعتلى العرش .
فغض من بصره وقال .
ــ هذا فعلا ما دار بخاطرى ، ولكنى ما جسرت على أن أصارحك به .
وارتسمت على شفتى الاميرة ابتسامة خفيفة وقالت :
ــ أيسعدك يا هوجو أن أتنازل عن العرش .. ؟
فأجاب : مثل هذه الفكرة لم تدر بخلدى ابدا .
ــ اذن فاعلم اننى لن اتنازل عن العرش مهما حدث .
فتساءل : ــ حتى لو نشبت الثورة فى البلاد ..؟
وساد السكون برهة ، ولبث الحاضرون يتطلعون يترقبون اجابة الاميرة .
وقالت ايلين : ــ ثورة فى رولدافيا ..؟ كيف طرا ببالك هذا الخاطر ..؟ ان شعبى يحبنى ، فهل نسيت ذلك يا هوجو ... انهم يحبوننى لشخصى ، وايضا لاننى ابنة الحاكم الذى كانوا يعبدونه ... ان بلادى لن تثور ضدى أبدا .
فقال الامير : ــ لن اجادلك على اية حال ، وحسبى اننى كشفت لك عن رأيى .

فقالت : ــ اننى أريد أن يقام الاحتفال بتتويجى فى اقرب وقت ممكن ، حتى يحسم الامر ولا يظل معلقا ، وشعبى فريسة البلبلة والاشاعات .

فقال الامير هوجو : ــ اذن يجب أن ندرس بعض التفاصيل معا .

وتطلع الى سيمون تمبلار بنظرة متفرسة ، وتجاهل القديس النظرة المصوبة اليه ، ولكن اللورد بولفيتش نهض واقفا وهو يقول :

ــ لكم اتمنى يا عزيزى تمبلار ان الاعبك شـوطا من البلياردو .

وأخذ بذراعه ومضيا الى قاعة البلياردو ، وشرعا يلعبان ، ومضت فترة لم يكن يسمع خلالها الا صوت ارتطام الكرات وهى تتدحرج الى المائدة .

وفجأة دق جرس التليفون ، فأسرع اليه اللورد ، ثم ناول السماعة الى القديس ، فقال هذا :

ــ هـذا عجيب ، فلا أحـد يعرف اننى نازل فى قصرك .

ــ لعله أحد الصحفيين فهم قوم لا تغيب عنهم خافية .

وتساءل القديس فى السماعة عمن يطلبه ، فقال الصوت الذى على الطرف الآخر !

ــ اننى مندوب صحيفة كنجزتون ، وأريد أن أجرى معك حديثا .

وعرف القديس على الفور أن محدثه هو مساعده هوبى يونياتز ، وان انتحل لنفسه صفة الصحفى ، وأبعد فمه عن بوق التليفون وقال يخاطب اللورد :

ــ أحديث . . انه أحد الصحفيين .

ثم ارتد الى البوق يقول :

ــ آسف جــــدا .. ليس فى نيتى أن أدلى بأى حديث ..

ــ ولكننى رأيت صحفية انجليزية تدخل القصر منذ فترة ، فلماذا تخصها دوننا بأحاديثك .

وعاد القديس يردد آسف جدا ..

وفهم الرسالة التى اراد مساعده أن يلقى بها اليه .

لقــد أراد أن يخطره أنه رأى وهو يراقب القصر سيدة تدخل اليه .. انها على أية حال معلومات قد تكون ذات فائدة مستقبلا ..

وأخــذ القديس يســائل نفسه عمن تكون هذه السيدة ..؟ ولماذا عمدوا الى اخفائها ولم يقدموها الى الضيوف ..

ورجع القديس الى مواصلة اللعب . .

وجاءت ايلين الى قاعة البلياردو يتبعهــا الامــير هوجو ، وقالت تخاطب القديس :

ــ لقد وضعنا جميع الترتيبات يا مستر تمبلار .

فقال الامير فى امتعاض وسخرية .

ــ أية ترتيبات تلك التى وضعناها .. ؟ لقد رفضت الاميرة أن تتخذ أية اجراء من اجراءات الحراسة .

فأخذت ايلين بذراع القديس تتأبطه وقالت !

ــ أليس حسبى أن يكون القديس موجــودا لكى يحرسنى ..؟ انك لا تثق به يا هوجو ، أما أنا فلى بل ملء الثقة .

ولم يجب الامــير وانمــا تنــاول ســيجارا من فوق احدى المناضد ، واشعله من أحــد الشمعدانات المتناثرة فى أرجاء القاعة .

وقالت ايلين انى أتعجل العودة الى وطنى ، ولذلك

استقر عزمى على أن أستقل صباح الغد أول طائرة الى رولدافيا ... والان طاب مساؤكم ايها السادة .

وحيت الحاضرين ، وانسحبت الى مخدعها ، وما لبث الآخرون أن لاذوا بغرفهم .

وتتابع الوقت والهدوء يسود القصر لا تسمع فيه حسا .

وبينما كان سيمون راقدا فى فراشه سمع عند الباب حفيف ثوب يقترب وزايل فراشه ، وارتدى الروب ، وانصت يرهف السمع ، وتحرك المقبض ، ثم سمع نقرات خفيفة فتساءل عمن هناك ، فجاءه الرد .

— أنا ... افتح سريعا .

كان صوتا نسائيا ذلك الذى سمعه ، ولكنه كان صوتا يجهل صاحبته . وذكر على الفور الحديث الذى القاه اليه هوبى عبر التليفون حين قال له ان امراة جاءت الى القصر اليوم .

واسرع سيمون يحرك المزلاج ، ودخلت المراة واعاد المزلاج مكانه ، ووقفت المراة مسندة ظهرها الى الباب .

كانت فتاة شابة ، وحسناء ، وكان شعرها ينساب خصلا متموجة حول وجنتيها .

وهمست ! — اننى كلارا .

وجلس سيمون فى مقعده ، واشعل سيجارة ، وتطلع اليها بنظرة لاهية وقال فى غير مبالاة !

— وما الذى تريدين يا كلارا . !

كان يشع من عينيها بريق حار فى تفسير معناه .. اهو قلق وحيرة ، أم هو ارتياح ورضاء .. ؟

وعاد يستعيد الى ذاكرته انذار هوبى .. ؟ اتكون هذه الفتاة هى زائرة المساء التى حدثه عنها هوبى . ؟

وقالت : — اننى وصيفة القصر .

وسألها فى نبرة متهكمة :

ـــ وهل جئت الآن فى جوف الليل لتسوى فراشى او لتقدمى الى قدحا من الماء .. ؟

واستدارت الى الباب ، والتصقت به أذنها تسترق السمع ، ثم استدارت اليه تواجهه ، ولاحظ عندئذ انها تحمل تحت ابطها حافظة صغيرة جلدية .

وقالت : ـــ أرجوك يا سيدى الا تهزأ بى واصغ الى .. ان الاميرة هى التى بعثت بى اليك .

ولبث القديس صامتا يتأملها دون أن يتفوه بكلمة .

واستطردت الفتاة : ـــ تقول سموها انهم فرضوا عليها حراسة شديدة ، فقد أقام الامير هوجو رجلين يخفران الدهليز لمراقبة حركاتها . وقد عهدت الى الاميرة بأن ابلغك هذا ، وهى تتوسل اليك أن تبادر بمغادرة القصر ، فهذه مسألة حياة او موت .

وردد سيمون وراءها : ـــ مسألة حياة أو موت

ـــ يجب أن تخرج فى الحال ، وانتظرها صباح غد فى مطار لندن ، فان سموها ستسافر على أول طائرة الى رولدافيا .

فقال سيمون : ـــ حسنا ... ولكن كيف أتمكن من الخروج من القصر ..؟

فأجابت : ـــ لا يقلقنك هذا الامر ، فاننى أعرف دهليزا لا يكاد يطرقه أحد ومخرجا سريا للقصر .

ولبث القديس يدخن سيجارته صامتا ، ويتأمل كلارا ..

واسترسلت : ـــ نعم ... يجب أن تغادر القصر حالا .. تقول سموها انها سمعت حديثا فهمت منه أن البرنس هوجو ينوى أن يتخلص منك أثناء الليل

فيجب ان تكون انت حرا طليقا ، والا هلكت الاميرة .. انها لا تستطيع أن تعتمد الا عليك انت وحدك .

وساءل القديس نفسه عما اذا كان هذا هو الفخ الذى دبروه لايقاعه فيه ..؟

وربت سيمون على وجنة الفتاة برقة وقال :

ــ أيستطيع المرء أن يرفض طلبا لحسناء مثلك ..

وتألق وجه الفتاة بشرا ، وعلت شفتيها ابتسامة مشرقة ، وأخرجت الحقيبة الجلدية من تحت ابطها وقدمتها اليه وهى تقول :

ــ كلفتنى الاميرة ان اسلمك هذه الاوراق على ان تعيدها اليها فيما بعد وهى توصيك أن تحرص على الا يراها الامير جورج .

وللمرة الثانية عاد القديس يسائل نفسه : أتلك هى الحقيقة يا ترى ، أم فخ ينصب له بدهاء وذكاء ..؟ ومهما يكن فان عليه أن ينصاع لما يطلب منه حتى تتكشف له الحقيقة فى النهاية .

وقال لها القديس : لا ــ فليكن .. سأنفذ ما تطلبه الاميرة .

وارتدى ثيابه على عجل ، وتطلع فى ساعته ... كان الوقت الواحدة بعد منتصف الليل .

واطفأت كلارا نور الغرفة ، واخذت بيده ، ومشت تسحبه وراءها وهى تقول :

ــ أرجو أن يحالفنا الحظ فلا يرانا الحراس .

وضمها الى صدره ، وطبع على شفتيها قبلة ارتجفت لها ، فتركها ، ثم عاد يقبلها للمرة الثانية ، وفى هذه المرة كانت قبلته أطول واشد حرارة .

وغادرا الغرفة معا ، وهو منقاد اليها ، ودلفا الى غرفة مجاورة فتحت كلارا بابا بداخلها نفذا منها الى

مخزن صغير تكدست فيه الاغطية والملاءات ، ثم فتحت الفتاة بابا ثانيا يفضى الى أحد الدهاليز وهبطا سلما انتهى بهما الى الطابق الارضى .

ووقفت الفتاة ساكنة ترهف السمع ، وحذا القديس حذوها ، ولم يكن يصل الى أسماعهما سوى دقات ساعة صادرة من الغرفة المجاورة .

وهمست كلارا : — احترس .. لا تتحرك من هنا .

وتركته وابتعدت عنه قليلا ، وسمع تكة خفيفة . لا شك انها قطعت التيار عن جهاز انذار كهربائى . ثم نادته ان يسرع اليها وهى تفتح احد الابواب وتبدى أمام عينيه حديقة القصر : ساكنة ، موحشة ، تنذ بالخطر .

وشكرها القديس ، وانطلق مسرعا يجتاز الحدية بخطى حذرة حريصة .

الفصل العاشر

أخذ سيمون تمبلار يجتاز الحديقـ متسترا بالظلام ، محاذرا أن يمشى فى طرقاتهـ المهدة المرصوفة خشية ان يفاجئه مباغت على ؛ انتظار ، وانما اتخذ المسارات الجانبية ، وهو يد حول الاشجار حتى تخفى شبحه عن الانظار .

وعلى حين بغتة سطع ضوء ، قوى تركز ع وجهه ، صادرا من بطارية أمامه .

وتسمر سيمون مكانه ، وقد أعماه الضوء الساط وسمع صوتا أجش النبرات يسأله .

— انت يا هذا ..؟ ماذا تفعل ..؟

وأجابه القديس : — انزه كلبى .

— يا له من كلب عجيب .. ! اننى لا اراه ..

ــ ألم تسمع عنه من قبـــل . انه « انه الكلب الخفى » الذى دكره ويلز فى رواية « الرجل الخفى » .

فقال الرجل : ــ اذا كان كلبك هو ذلك الكلب الخفى الذى تتحدث عنه ، فهل نباحـــه هو ايضـــا « النباح الخفى » .. ؟ لماذا لم ينبح عنـــدما خرجت عليك من وراء الشجرة التى كنت متواريا خلفها ..

فقال القديس يواصل سخريته !

ــ لا شك اذن انك كنت تنتظرنى أيها الصـــديق العزيز لكى ترحب بى .

ونحى الرجل ضوء بطاريته قليلا ، واســـتطاع القديس أن يميزه .. انه أحد حراس القصر ، وكانت فى يده بندقية صغيرة الحجم .

وقال الحارس يسأل القديس .

ــ ترى ما الذى تحمله فى هذه الحقيبة التى فى يدك .. ؟

وأجابه القديس : ــ كشك متنقل من الطراز الذى يطوى لكى ينا مفيه الكلب .

واشتدت نبرات الرجل صرامة وهو يقول :

ــ هيا استدر يا رجل وسر أمامى .

واحس القديس بلهفة عارمة تدفعه الى ان يسدد الى ك الحارس الليلى لكمة تطرحه أرضا ، ولكن فوهة البندقية التى شعر بها تلتصق بجنبه اجبـــرته على الاذعان .

استدار مستسلما ومشى أمام الحارس ، مهتديا الى طريقه على ضوء البطارية . . . . . .

واتجه الرجلان ــ الاسير وحارسه ــ الى القصر، وقال الحارس يأمر القديس :

ــ اجذب حبل الجرس واجذبه بشدة .

وجذب القديس الحبل ، وفى سكون الليل الهادئ دوى رنين الجرس فى أرجاء القصر .

وان هى الا لحظات حتى فتح الباب خادم ما زال النعاس يراود عينيه .

وبفوهة البندقية دفع الحارس أسيره الى بهو القصر .

واضيئت الانوار ، وصحا النائمون .

وقال القديس : ــ سوف تنال عقابك يا رجل حين يحضر اللورد الآن ويعرف انك قبضت على أحد ضيوفه .

وجاء اللورد ... ظهر على راس السلم ، وهو مرتد روبا منزليا ، وقال متسائلا :

ــ ما الذى حدث يا جورج ...؟

وأجابه الحارس الليلى : ــ لقد ضبطت رجلا يتجول فى الحديقة فأثار شبهتى وقبضت عليه .

وهبط اللورد الدرج ، وما أن رأى القديس حتى هتف ! ــ يا الهى ..!

وفى اللحظة التالية كان البرنس هوجو يهبط الدرج بدوره وهو يقول :

ــ ماذا أرى ..! صديقنا مسيو تمبلار ..

وقال الحارس مستطردا يشرح ما حدث

ــ لقد زعم انه خرج الى الحديقة ينزه كلبه ولكننى لم ار معه كلبا ، ولم انخدع بحيلته .

فقال اللورد بولفيش : ــ لقد أحسنت صنعا يا جورج ، وتصرفك يدل على يقظتك ، وانك تأبى تتهاون رغم اننا نعرف مسيو تمبلار حق المعرفة .

وانبرى البرنس هوجو يقول فى نبرة ساخرة :

ــ ولاننا « نعرفه » فان من واجبنا أن نشك فيه

وتحول الامير هوجو الى القديس يسأله وهو يتطلع فى ساعته :

ــ هل لك يا مسيو تمبلار أن تفسر لنا السبب فى وجودك فى الحديقة فى مثل هذا الوقت ، وقد جاوزت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .. ؟

وقال القديس وقد ارتسمت على شفتيه بسمة استخفاف .

ــ الم يقل لك هذا العزيز جورج اننى كنت انزه كلبى ..؟

وأشار هوجو الى الحقيبة التى كان يحملها القديس وتساءل :

ــ وما هذه الحقيبة يا ترى ..؟

وساد صمت قصير ، واخيرا تكلم القديس .

قال : ــ لقد كنت انوى الرحيل .

فقال اللورد بولفيش : ــ أمعنى هذا أن ضيافتى لم ترق بك ..؟ انى لا اعتقد اننى بخيل شحيح .

وعاد الامير هوجو الى سخريته اللاذعة .

قال : ــ لقد فهمت انك رئيس حرس صاحبة السمو البرنسيسة ايلين دى رولداف أميرة رولدافيا، فهل تلقيت أمرا من سموها بالسفر ..؟

فأجابه القديس : ــ لقد تصرفت من تلقاء نفسى .

فقال الامير هوجو : ــ فى هذه الحالة يجب أن أطلب أن تفتح هذه الحقيبة لنرى ما تحمل فيها . فما رأيك فى هذا .. ؟

وأدرك القديس أن الفخ الذى نصب له كان بارعا محكما ، وان المصيدة بدات تنطبق عليه .

وقال القديس : ــ وهبنى رفضت أن اطلعكم على ما فى الحقيبة ..

فقال الامير هوجو : ـ فى هذه الحـــالة سنضط
آسفين الى أن ...

ولكنه لم يتم عبارته ، فقد جاءهم صوت الامـــير
ايلين من رأس الدرج متسائلا .

ـ ما هذا ..؟ ما الذى يجرى هنا ..؟

وهبطت الاميرة الدرج ، وأقبلت على الجمع تدي
بصرها فى وجوههم ، وفى عينيها نظـــرة اســـتفسا
وتساؤل .

وقال هوجو : ـ لقد ضبط الحارس الليلى صديقك
مسيو تمبلار فى الحديقة ومعه هـــذه الحقيبة ، وق
طلبنا اليه ان يفتح الحقيبة لنتبين ما فيها ، ولكنه مص
على الرفض ..

وقال القديس : ان فى الحقيقة خطابات خاصـــــ
ولا أسمح لأحد بأن يطلع عليها .

ورفع سيمون بصره الى الاميرة وقال :

ـ لن افتح الحقيبة الا اذا أمرتنى الاميرة .

والتفت الامير هوجو اليها وقال :

ـ مريه يا عزيزتى بأن يفتح الحقيبة ... ان لمسي
تمبلار سمعة معروفة ينبغى معها أن لا نخـــاطر .

وقالت الاميرة فى صوت رقيق متوسل :

سيمون ... ارجوك أنتفتح الحقيبة ... حتى
تخيب ظنونهم وتبدد شكوكهم .

وقال القديس : فليكن ... ما دمت قد أصـــــدرت
الامر .

وفتح الحقيبة ، وكانت محشوة بالثياب ، بيد أن
كانت فوقها حافظة جلدية صغيرة .

وهتف الامير هوجو وفى عينه نظرة انتصار :

ـ آه ... ما هذا ... أليست هذه هى حافظ

الاميرة ؟..

وتحول الى الاميرة يتطلع اليها ، وما كانت به حاجة الى ان يسألها عما اذا كانت هذه هى حافظتها أم لا ، فقد كان فى اصفرار وجهها وامارات الدهشة الجواب الكافى .

وتناول القديس الحافظة الجادية وناولها للاميرة ، وعيناه لا تفارق وجهها .

وما أن استقرت الحافظة فى يد الاميرة حتى بادر الامير هوجو فأخذها منها ، بل لعله انتزعها وأفرغ محتوياتها فوق المنضدة .

وجمدت الانظار ، وتسارعت خفقات القلوب .

ففوق المنضدة انسابت كومة من اللالىء والجواهر والماسات والقلائد والاقراط ... جواهر الاميرة ايلين ، وجواهر امارة رولدافيا ... ..

وساد القاعة سكون غريب .

وجعلت ايلين تحملق فى مجوهراتها مشدوهة ، وقد ارتج عليها الكلام .

واطلق الامير هوجو ضحكة ساخرة ترددت فى ارجاء القاعة كأنها دوى قنبلة ناسفة وقال :

ــ الان عرفنا سر هذه المهزلة التمثيلية الرائعة ... محاولة الاختطاف ... الاعتداءات المتوالية ... اطلاق النار .. الجثث المقتولة والسيقان المهشمة ..! يالك من مخرج قدير يا مسيو تمبلار ..! كل هذا تمثيلية بديعة لكى يتقرب من الاميرة ، حتى يتسنى له فى النهاية أن يسرق جواهرها .. !

ثم أردف : لو أن جورج لم يكن صاحيا منتبها لاستطاع هذا الافاق أن يهرب بالغنيمة دون أن يشعر به أحد .

ولبث القديس صامتا لا يتكلم .

ونظرت اليه ايلين ... كانت عيناها تتوسلان ، وكان قلبها يئن ويبكى ، وكانت بوجهها معالم حزن طاغ .

واخيرا استطاعت أن تنتزع الكلمات بمشقة .

قالت : سيمون ... أرجوك قل أى شىء .

كانت تتلمس منه كلمة واحدة .. اية كلمة ... وكانت على استعداد لان تصدق ما يقول — مهما كان هذا الذى سيقول .

وتكلم سيمون تمبلار ... وكان صوته هادئا .

قال : انها مؤامرة دبرها هؤلاء السادة ... انهم هم الذين دسوا هذه الحافظة فى حقيبتى حتى يشوهوا سمعتى امامك ... هذا فخ نصبوه لى يا ايلين ...

وصرخ فيه اللورد بولفيش فى صوت داو .

— اخرس . .! اتحاول ان تتخلص من جريمتك بالقاء اللوم على الاخرين ..؟ كان يجب أن تفكر فى دفاع أقوى ..!

وهز القديس كتفيه بلا مبالاة وقال :

— ليت شعرى ما عساى أفعل ..! الاميرة تأمرنى بأن اتكلم ، وأنت تأمرنى بأن اسكت ..! والله لقد حرت بينكما ، فماذا أفعل ..؟ اسكت أم أتكلم ؟ ..

وانبرى الامير هوجو يقول :

— يجب اخطار البوليس .

وهتفت ايلين : لا .. لا .. اتوسل اليك ان لا تبلغ البوليس .. سيمون ... تكلم ... برر موقفك .. دافع عن نفسك .. كيف جاءت جواهرى الى حقيبتك

ونفث لقديس دخان سيجارته وقال :

ــ اسمحي لى ان اوجه اليك سؤالا .
فقالت فى استسلام : سل ما بدا لك .
ــ ما الذى تعرفينه عن كلارا :
فقالت مرددة فى استغراب : كلارا ..؟ لست أعرف أحدا بهذا الاسم .
وتحول القديس الى اللورد بولفيش يسأله :
ــ وأنت .. ؟ ألا تعرف كلارا يا عزيزى اللورد ؟..
وهز اللورد رأسه نفيا وقال : كلارا .. ومن تكون كلارا هذه ؟
ــ انها وصيفة القصر .
فأطلق اللورد ضحكة ساخرة وقال :
ــ وصيفــة القصر .. ؟ ولكن ليس بالقصر اية وصيفة ..
اننى يا عزيزى مسيو تمبلار لا أستخدم فى قصرى الا رجالا ... ولهذا لا أعرف تلك التى تزعم أنهــا تدعى كلارا ..
وابتسم القديس وهز رأسه قائلا :
ــ اذن فقد اتضح الامر ... مؤامرة محبوكة .
وقال الامير هوجو ضاحكا .
ــ أتعود مرة أخرى الى حديث المؤامرة .. ! الا يمكنك أن تفكر فيما هو خير من هذا ..؟
ثم أردف : يالها من قصة طريفة ..! رئيس حرس الاميرة يسرق جواهر الاميرة .
وتحول هوجو الى التليفون واتصل بالشرطة رغم توسلات الاميرة .
وقالت الاميرة فى صوت يقطر حزنا :
ــ سيمون ... رغم كل ما فعلت فاننى ســوف ادافع عنك أمام الشرطة ... سأحاول أن أنقذك ...

سـأقول اننى أنا التى أعطيتك جواهرى .. ولكن أتوسل اليك أن تقول الحقيقة لى أنا ؟.. هل سرقت حقا مجوهراتى . ؟

ورفع القديس رأسه ونظر اليها .

قال فى هـدوء : كلا يا ايلين ... انى لم أسرق جواهرك .

وكان صوته نابضا بالصدق والاخلاص .

وقالت : انى أصدقك ... انى أثق بك ... ان ثقتى بك لم تهتز لحظة واحدة ... انى مازلت أومن بك .. انى أعرف انك لا يمكن أن تسرقنى .

كانت أنظارهم جميعا معلقة بوجـه الاميرة وهى تتكلم ... كانوا يتأملون سمات الحزن المرتسمة على قسمات وجهها ، ويحسون بالالم الذى يعتصر قلبها .

وفى سرعة خاطفة دار القديس على كعبيه ، ومع الدورة استقرت قبضته على فك الحارس الليلى ذى البندقية ...

ووقع الحارس ، ووقعت البندقية ، وأصبح القديس هو سيد الموقف بلا منازع .

وقال الامير هوجو : أرأيت يا ايلين ..؟ هذا دليل جديد على جرمه ... انه لا يستطيع أن يواجـه الشرطة .

وقال له القديس : أولى بك أن تصمت .

وامر اللورد بأن يشد وثاق الامير هوجو ، وازا تهديد البندقية لم يجد اللورد مناصا من الاذعان .

وتولى القديس بنفسه تقييد اللورد ، ثم كمم الاثنين .

وما أن فرغ من هذا حتى تناهى الى سمعه هد سيارة الشرطة وهى تدنو من القصر .

وصرخت فيه ايلين فى رعب وفزع :

ـ الشرطة ..! أسرع بالهرب .. !

وقال لها : قبل أن أنصرف يجب أن أؤكد لك يا ايلين أننى لم أسرق جواهرك .

فقالت : انى واثقة من هذا .

واستطرد : ورغم اضطرارى الان الى الرحيل فانى سأكون دائما الى جانبك ، أسهر عليك وأحميك .

فقالت : أعرف هذا .

ـ والان وداعا يا أميرتى .

وفى الوقت الذى كان فيه رجال الشرطة يطرقون باب القصر كان القديس قد تسلل من القاعة هاربا.

الفصل الحادى عشر

دق مفتش البوليس جرس الباب ، ثم عاود الدق ، دون أن يلبى نداءه أحد . وكانت الاشارة الوحيدة التى صدرت من داخل القصر هى انطفاء الانوار .

وخامرته الشكوك ، ودب الى ذهنه النشاط وحمى التفكير ، فأمر اثنين من رجاله أن يجوبوا حول القصر بعيون مفتوحة ومسدسات مشهرة .

وبدأ رجال الشرطة يعالجون الباب لاغتصابه وفتحه عنوة . ولكن الباب ما لبث أن فتح .

فتحه رجل على رأسه قبعة كاسكيت ، فلا بد أنه سائق السيارة .

وهتف بهم : أسرعوا فانهم ينتظرونكم .

واندفع رجال الشرطة الى داخل الحديقة ، مهتدين الى الطريق على ضوء بطاريتهم .

كان باب القصر مفتوحا على مصراعيه ، فدخلوا

على الفــور ، وفى البهو وجدوا رجلين مشـــدودى الوثاق مكممين . وما أن رفعوا الكمامة حتى صرخ فيهم الامير هوجو :

ــ أسرعوا ..! اسرعوا ... انه هو الذى فتح لكم الباب ..!

وتساءل المفتش : ومن هو الذى فتح لنا الباب ..

ــ القديس .. ! القديس نفسه .

وعاد المفتش ورجاله الى الحديقة راكضين ، ولكنهم لم يعثروا على أحـــد ، وكان كل ما ســـمعوه هدير سيارة تبتعد .

وكانت السيارة التى تبتعد هى سيارة الشرطة ، وكان الذى يقودها هو القديس .

وقال اللورد بولفيش ساخطا خانقا :

ــ لو أنكم لم تتأخروا لكان القـــديس الان نزيل السجن .

وقال الضابط وشاربه يهتز من فرط انفعاله .

ــ القديس .. يجب اذن أن أخطر اسكوتلانديارد.

وأسرع الى التليفون ، واتصل بالمفتش تيل .

كان معروفا أن المفتش تيل هو العـــــدو اللدود للقديس ، ولطالـــا كانت بينهما ــ فى المـــاضى ــ مغامرات لا تنتهى قبل أن يتوب القديس ويرعوى .

وقال المفتش تيل عبر الاسلاك :

ــ ماذا تقول ..؟ القديس فى انجلترا .؟ مستحيل! لابد انك مخطىء . .

وقال الضابط : بل انه هنا يا سيدى .. وقـــد هرب منا ... هرب فى سيارة البوليس .

وتساءل المفتش تيل : وهل ارتكب جريمة ؟

هل سرق شيئا ..؟

ــ سرق مجوهــــرات البرنسيســـة ايلير أميرة رولدافيا .

ولكن الاميرة صرخت فى الضابط .

ــ هل جننت أيها الضابط .؟ هل انت أعمى ؟.. الا ترى المجوهرات ..؟ ها هى فوق المنضدة .

وبهت الضابط المسكين جوليجود لمــا سمع ، وتولاه الارتباك ، وحاول أن يبين للمفتش تيل حقيقة الموقف .

وضاق المفتش بما يهدف به ضابطه فقال :

ــ حسنا ... حسنا ... سأتولى الامر بنفسى ، وانه ليسعدنى أن التقى مرة أخرى بالقديس ، فقــد اشتقت الى جولة معه .

وفى الوقت الذى كان فيه هذا الحــديث التليفونى يجرى بين ضابطى الشرطة كان القديس منطلقا بالسيارة التى « استعارها » من البوليس ، وفى طريقــه كان يمر برجال الشرطة وهــم فى ســـياراتهم أو على موتوسيكلاتهم يسعون جميعـــا الى القبض على القديس ، فيؤدون له التحية العسكرية فى احترام ، ظنا منهم أنه من رؤساء البوليس السرى .

وعلى بعد ميلين من القصر لمح القديس شبح امرأة تسير ، فلما رأت الســـيارة مقبلة لوحت لهـــا تستوقفها ، وكأنما خشيت أن لا يحفل بهــا الراكب فقفزت الى وسط الطريق فجأة حتى ترغمه عــلى التوقف .

وفوجىء القديس بهذه الحركة المباغتة منهــا ، فانحرف يسارا فى اللحظة المناسبة ، ولكن الرفرف مس ثوبها مسا خفيفا ، وتهاوت المرأة وسقطت على

الارض .
وقفز اليها القديس ، وكان حسبه نظرة واحدة اليها لكى يعرفها .
كانت هذه المرأة هى كلارا ـــ الوصيفة المزعومة.
كانت كلارا فى هذ اللحظة مغمى عليها وقد اتسخت أطراف ثوبها ، فنقلها القديس الى جانب الطريق ، واخذ يدلك وجنتيها وذراعيها ، وكان سعيدا بأنها لم تصب بأى خدش .
وما لبثت كلارا أن فتحت عينيها المطبقتين وغمغمت:
ـــ اين انا .. ؟
وأطلق القديس ضحكة قصيرة وقال :
ـــ اطمئنى يا شقرائى الجميلة فانهم لم يقذفوا بك بعد الى جهنم ... انك ما زلت على قيد الحياة لم يمسسك خدش .
وتطلعت اليه ، وفغرت عينيها ولكنها لبثت صامتة
واخذ بيدها ينهضها ، وقادها الى السيارة فمشت معه مذعنة واجلسها ، ثم استوى الى جانبها وادار المحرك وتابع طريقه .
وقال وعينه على الطريق دون ان يجول بصره اليها :
ـــ لقد قال أحد الفلاسفة أن الناس نوعان : أحياء واموات .. وأنت حتى الان من فصيلة الاحياء ، ولكن من السهل جدا ن تنتقلى الى المجموعة الاخرى ... سيارة تدهمك ، أو رصاصة تقتلك .
ثم أردف ـــ انك أسديت خدمة عظيمة للامير هوجو، فكيف تخلى عنك وتركك ترحلين دون ان يستدعى تاكسيا لنقلك .

وحس بها ترتجف ، ولكنها قالت :

ــ انى لا أفهم ما تقصد يا سيدى .

وضحك القديس ، ولكنها كانت ضحكة أشبه بلذع السياط .

ولاحت أنوار ساطعة على مسافة بعيدة تعترض الطريق ، وأدرك القديس انهم رجال الشرطة دون شك ، فانحرف دفعة واحدة الى طريق جانبى غير ممهد ، فأخذت السيارة تجتازه ، وهى تقفز وتتزحزح ، ودار دورة طويلة ثم عاد الى الطريق العام بعد أن تجاوز مراكز المراقبة .

وعاد القديس يتحدث الى كلارا .

قال : انك لا تريدين أن تتحدثى ... فليكن ... ان أمامنا متسعا من الوقت لكى نتبادل حديثا طويلا .

ومروا بالعديد من القرى التى كان الظلام ما زال يلفها بأستاره ، وان كانت تباشير الفجر قد بدأت تظهر فى الافق .

وقالت له كلارا : أرجوك أن تتوقف وتنزلنى .

ــ اتتخلين عن صحبتى ..؟ أتراك خائفة من هوجو

وأجابت بنعم ، فقال لها :

ــ هبى أنى نقدتك ضعف ما دفع لك .. !

فهزت رأسها نفيا وأجابت : لا أستطيع .

ولمح القديس موتوسيكلا الى جانب الطريق ، فانحرف الى ناحيته فجأة وهو يضغط الفرامل . ثم نزل من السيارة وجذب كلارا وراءه ، وأجلسها على المقعد الخلفى ، واستوى أمامها ، وانطلق بالموتوسيكل وهو يقول :

ــ احترسى .. ! ان حاولت أن تقفزى دقت عنقك .

وعلى البعد لاحت لهما محطة السكة الحديدية فقال لها :

ــ سوف نستقل القطار .

وأوقف الموتوسيكل على مسافة من المحطة ، واخفاه وراء احدى الاشجار حتى لا يعثروا عليه الا بعد أن يكون قد ابتعد .

ومشت كلارا وراءه مذعنة مستسلمة .

وابتاع تذكرتين الى لندن ، وان هى الا دقائق معدودات حتى كان جالسا فى احدى المقصورات والى جانبه كلارا ، والقطار منطلق بهما الى لندن .

ومال اليها القديس قائلا فى صوت وان كان رقيقا الا أن نبراته كانت تنذر بالوعيد والتهديد .

قال : والان يا كلارا ... أما حان الوقت لكى تطلقى لسانك .. ؟

فهزت رأسها وقالت فى حزن : لا أستطيع ... ان تكلمت قتل الامير اميل .

وسألها القديس : اميل .. ؟ ومن يكون اميل هذا ... ؟

فأجابت : انه أخى الاصغر .

فقال القديس : أليس اميل فى العشرين من العمر ، وله شارب صغير ، وضئيل الجسم ...

فاتسعت عيناها دهشة وقالت : وكيف عرفت ..؟

ــ لقد التقينا من قبل ... ان أخاك يا كلارا فتى شرير ومصيره السجن أو الموت فى يوم ما .

فقالت فى اسى : انه ولد طيب ، ولكنه لا يملك أن يرفض للامير أمرا ... لقد عهد اليه الامير بمهمة

خاصة بالاميرة ايلين ، ولكنه أخفق فى انجازها فأثار غضب الامير عليه ، ومن واجبى أن أنقذه من العقاب الذى سوف ينزل به .

فقال لها القديس : اطمئنى ... انه الان فى جامايكا وسوف أنقذه من براثن الامير .

فقالت : كلا .. انه ليس الان فى جامايكا ... انه الان فوق سطح السفينة الحربية أولاف التابعة لرولدافيا ، وقد غادرت السفينة جامايكا فى طريقها الى الوطن .

وغرق القديس برهة فى التفكير — الان انجلى الموقف أمامه ... انها لا تستطيع ان تتكلم وتفشى سر الامير هوجو والا نكل بأخيها اميل وامر بقتله .

وقال لها القديس فى نبرة حانية .

— كلارا ... انى لا أستطيع أن أجبرك على الكلام ... بل انى التمس لك عذرا .

وانفجرت الفتاة تبكى فى مرارة .

الفصل الثانى عشر

كان يوما عصيبا ذلك الذى كابده المفتش كلود أوستاس تيل .

فى مستهل اليوم رن جرس التليفون ، وجاء النبأ السعيد بقوله ان السيارة التى سرقها القديس شوهدت تجتاز الطريق العام ، ولكنها انحرفت فجأة الى طريق جانبى غير مطروق ، وأن رجال الشرطة انطلقوا فى أعقابها .

ثم رن التليفون مرة أخرى ، وفى هذه المرة كان النبأ محزنا : لقد استطاع القديس ان يفلت .

وبعد ساعة جاء نبأ ثالث بأن الشرطة عثروا على السيارة المسروقة مركونة فى الطريق العام عند قرية جوردنى ، وأن القديس سرق موتوسيكلا وهرب به

وتوالت الاتصالات ، وترددت التعليمات ، وتناقضت الاوامر .

وكان النبأ الاخير أن القديس قطع تذكرتين الى لندن .

وفى فناء المحطة تزاحم رجال الشرطة فى ثياب مدنية يترقبون وصول القطار .

وجاء القطار ، ولكن لم تنزل منه الا المرأة التى أدلى قاطع التذاكر بأوصافها ، بيد أن القديس لم يكن فى صحبتها .

وسئلت كلارا ، ولكنها هزت راسها استغرابا وقالت :

ــ بل كنت وحدى فى مقصورة القطار ... لم يكن معى أحد .

واتصلت بالامير هوجو ، وأيد شهادتها ، وسمح لها البوليس بالانصراف فما كان له أن يحتجزها دون سبب .

مشت كلارا تتسكع فى شوارع لندن بلا هدف معين ، حتى اذا اطمأنت الى أن لا أحد يتعقب خطواتها اتجهت الى منطقة الميناء ، ومشت على مهل تدير بصرها فى الحانات المنتشرة هناك ، حتى اذا وقعت عيناها على البار الذى تنشده اتجهت اليه فورا .

وتلقاها صاحب البار فى استغراب ، فمعهده بالنساء الانيقات الا يترددن على حانته الحقيرة التى لا يغشاها الا الحثالة من القوم .

وسألها صاحب الحانة أتريدين شيئا ؟
فأجابت : انى أبحث عن صديق .
ــ ومن يكون يا ترى ؟.. ما اسمه ؟..
فأجابت : انه يمشى دائما وفوق راسه هالة من النور ... مثل القديسين .
فحملق فيها الرجل فى استغراب :
ــ القديس ..؟ اهو هنا ..؟ هل هو قادم الى حانتى .. ؟ لابد اذن أن لديه عمــلا يعهد به الى الرفاق .. لقد اتصل بى تليفونيا واصدر لى بعض التعليمات ولكنه لم يذكر لى أنه قادم بنفسه .
فأجابت : هـــذا صحيح ... ولكن المهمة خارج البلاد . لقد وعد بأن ينقذ أخى .
فقال الرجل فى ايمان وحماس .
ــ هذا لا يدهشنى ... ان القديس ان وعـــد أوفى بالعهد انه رجل لا يكذب ... ولكن ما الذى تريدين منى ...؟
ــ لا شىء ... كل ما هنالك أن له صديقا سيحضر اليوم الى حانتك لشأن ما ، فقد اتخذ القديس من حانتك مقرا للمقابلات .
فقال الرجل : هذا شرف عظيم .
وفى نفس ذلك المساء جاء هوبى يونياتز الى الحانة ، وعرفه صاحبها على الفور اذ كان يحمل فى يده صحيفة يتصدرها عنوان بارز يقول .

((القديس عاد الى انجلترا))

((البوليس يطارده بتهمة سرقة المجوهرات))

ولوح هوبى أمام صاحب الحانة بالصحيفة وهو

يقول :

ــ هذا النبأ مثير يهمك ان تطلع عليه .

وأدرك صاحب الحانة على الفور أن هـــذا هـــو الصديق التى حدثته عنه المرأة فى الصباح .

فى تلك الاثنـــــاء فى قصر اللـــورد بولفيش كانت الاميرة ايلين لائذة بغرفتها ، واجمة حزينة ، وكانـــت تأبى أن تقابل الصحفيين الذين تقاطروا على القصر ينشدون منها حديثا .

وكان الامير هوجو يتأهب للرحيل الى رولدافيا ، ولكن ايلين التى كانت من قبل متعجلة أصبحت الان غير متعجلة وتريد أن تبقى يومين آخرين .

وقال لها الامير هوجو متهكما :

ــ لعلك تأملين يا عزيزتى ايلين ان يعود اليـــك فارسك الافاق ..؟ ألم تدركى بعـــد أن القديس قـــد انكشف وانه لن يجسر على أن يطأ عتبة القصر مرة اخرى .

ولم ترد ايلين على سخريته ، ولكنها فى طوايـــا قلبها كانت تثق بالقديس ، وكانت تؤمن بأنه لا بد ان يخف الى نجدتهـــا .

ولكن ترى متى يحضر ..؟

وفى تلك الاثناء ايضا كان رجال البوليس ينبشون الارض طولا وعرضا بحثا عن القديس ، ولكن دون أن يهتدوا الى اى اثر له .

وقال اللورد بولفيش يخاطب الامير :

ــ هناك احساس يخامرنى بأن القديس لا يمكـــن أن يتخلى عن فريسته بهذه السهولة .

ــ قلت لك انه لن يجسر على الظهور مرة أخرى .

فقال اللورد : ــ ان لم يظهر هنا فانه ســـيظهر

هنـــاك .

ــ اتقصد انه سيذهب الى رولدافيا ..؟

ــ انى لعلى يقين من هذا .

فقال الامير : ــ فليكن ... هذا من سوء حظه، فهناك نحن السادة المسيطرون على البلاد ... هنا يبعثون به الى السجن ، أما هناك فمصيره الاعدام .

فعقب اللورد بولفيش معترضا :

ــ أنسيت أن ايلين تبسط عليه حمايتها ..؟

ــ وهل نسيت انت يا عزيزى اللورد ان البوليس فى قبضتنا خاضع لاوامرنا ..؟ ثم لا تنس اننا بالمال نستطيع أن نشترى ذمة الشرطة فى بلادنا .

فقـــال اللورد متنهـــدا : انى لأخشى يا عزيزى الامير أن تكون خزائنى الان ناضبة من المال .

ــ لا عليك ... سوف أدبر الامر ... ســـوف أصدر طوابع بريد جديدة عليها صورة الاميرة ايلين فنربح من ورائهـــا ثروة وتتدفق الاموال على خزائن الدولة ... ومن يدرى ... قد نخلع الآمـــيرة عن عرشها ، واحل أنا محلها واضع التاج على رأسى .

وفى هذه اللحظة كانت الاميرة قادمة الى القاعـــة دون أن يفطنا اليها ، وتناهى الى سمعها كلماتهمـــا الاخيرة .

آه ... لو ان القديس كان موجودا لما جسر أحـــد على أن يمسها بسوء .

واقبلت ايلين على الامير هوجو تسأله :

ــ أما من أخبار عن القديس ..؟

ــ لا شىء على الاطلاق ... ومهما يكن فقد برهن رئيس حرسك على انه لص مصيره السجن ، فأولى

بك ان تختارى سواه .
وتجاهلت الاميرة سخريته ، وقالت :
ــ سنرحل صباح غــد يا هوجو فاصدر أوامرك .. وأعتقــد انك تنوى أن تصحبنا يا لورد بولفيش .
فأجاب ذو الوجه الدميم : ــ وهل يفوتنى ان أنعم بصحبتك يا عزيزتى ايلين ..؟
كان حفل تنصيب ايلين أميرة على رولدافيا مثــيرا لاهتمام جماعة من القوم منزوين فى ركن حانة جيف فى ميناء لندن ، وقد تصدر مجلسهم هوبى يونياتز وقد لبس كاسكيت ارخى حافتها فوق عينيه .
وقال هوبى : ــ انى لا اعرف شيئا أكثر مما ذكرته لى كلارا عن لسان القديس : « أنتظر أوامرى فى حانة جيف » .
وفى احدى الغرف الداخلية للحانة كانــت كلارا مستلقية على احدى الارائك مستغرقة فى النوم .
ألا مــا أغرب هــذه الفتاة ..! فى البداية كانت تناصب القديس العداء ، وكانت مشتركة فى المؤامرات التى تحاك ضده . اما اليوم فهى متعلقة به ، تخدمه فى وفاء واخلاص .
وتتابعت ساعات النهار ، وحل المساء ، وصلصل جرس التليفون ، وبادر اليه جيف ، وسمع الصــوت الذى يعرفه حق المعرفة يقول :
ــ هيــه ... جيف .. ! اما تزال بيرتك كريهة المذاق .. ؟
وأجاب : ــ اننى اقدم الان نوعا جديدا ، كما اننى استخدمت ساقية جديدة ذات شعر أشقر .
وفهم محدثه ما يرمى اليه جيف .
ــ وكيف حال الرفاق ... حدثنى عنهم .

ـ انهم جميعا ، هنا . ولكنهم ملوا الانتظار .

ـ اطلب منهم أن يتاهبوا ، فقد نبحر هذا المساء ... مركب شراعيـة ان امكـن ... انتظرونى فى بينكومب . وقل لساقيتك ان تستعد للسفر .

فقال جيف : ما أسـعدنى أن تعود الايام الغابرة الرائعـة .

ورجع جيف الى الرفاق ، ومـال الى اذن هوبى يهمس فيها :

ـ انه هو الذى كان يتحدث ... الابحار الليلـة ... وهو يفضل مركبا شراعيا ... وعليك ان تنتظره فى بينكومب ... واخطر كلارا بالرحيل ... هذه هى اوامره

وأشرق وجه هوبى يونياتز ، فقد ضاق صدره بهذه الحياة الراكدة ، وتمنى مغامرة متأججة بالاحداث .

وتسـاءل هوبى : ـ ولكن من أين لنـا هـذا المركـب .. ؟

فأجابه جيف : ـ لقد اتصل بى تليفونيا بالامـس واصدر الى تعليماته ، فاتخذت الاهبة لكل شىء ... ان سفينة الكابتن فون جودستروم فى الانتظار ...

وعند الفجر كانت السفينة « البجعة » تبحر من ميناء لندن وعلى ظهرها كلارا وهوبى يونياتز .

وسألته كلارا : ـ أتعرف ما ينوى مسيو تمبلار ان يفعله ..؟

ـ كلا ... ان كل ما على هو أن أطيع أوامره .... انه هو الذى يخطط ويأمر ، وما على الا ان انفذ .

وكان هذا منه حقا ، فانهم جميعا لا يدينون للقديس الا بالطاعة المطلقة .

وكانت الريح مواتية سهلة ، والمركب « البجعة » تنساب على سمحه المياه فى يسر ورشاقة بعد أن غادرت ميناء بينكومب ، واخذت البجعة تضرب فى عرض البحر . ثم تتابعت بعض من ساعات النهار وهى ماضيه فى طريقها . ثم اقتربت من الشاطىء ، ولاح هناك على البعد شبح يلوح لها بمنديله .

وهتف العملاق هوبى : ـ آه ... ها هو ذا القديس ..!

وأمر الربان بوضع لوح خشبى على حافة المركب مرتكزا على البر ، وارتقاه القديس مسرعا ، فاذا هو على سطح البجعة .

وخفت اليه كلارا ترحب به متالقة العينين دافقة البشر . وأقبل القديس على الربان الكابتن فون جودستروم وسأله :

ـ انك تعرف رولدافيا طبعا ..؟

ـ لقد ارتدتها مرات عديدة ..؟

ـ ما رأيك فيها ..؟

ـ ميناء هادىء ، وأهلها مسالمون ، ومن السهل التعامل مع الشرطة .

ـ اذن فلنتجه الى رولدافيا .

وأصدر الربان أوامره .

وقال هوبى وهو يفرك كفيه ابتهاجا :

ـ لقد عادت أيام المغامرات ..! أيامنا الرائعة ..!

فقال القديس : لعلك واهم يا صديقى ، فالامير هوجو يتوقع قدومى ، ولا شك انه اخذ الاهبة لاستقبالى والترحيب بى . كما استطيع ان اراهنك على أن صديقى القديم المفتش تيل سيكون هناك أيضا يترقب حضورى فى لهفة .

ولم يكن القديس واهما أو مغاليا فى ظنونه ، فقد تلقى المفتش تيل نبأ سريا بأن القديس استقل مركبا شراعيا وفى رفقته هوبى يونياتز وامرأة تدعى كلارا ، وان المركب اخذت طريقها صوب الشمال .

وغرق تيل فى خواطره برهة يتدبر الامر ، وهو يلوك فى فمه قطعة من اللبان .

ترى ما الذى ينبغى له أن يفعل ..؟ انه ليلذ له أن يقتحم الميدان من جديد ، وان ينازل القديس .

ولكنه - من تجاربه السابقة - كان يعرف أن القديس خصم لا يستهان به ... انه قدير على المناورة ، بارع فى الخداع ، وكلما استقر فى روحه انه أمسك به اذا به ينساب من بين أصابعه مفلتا .

انه يحاور ، ويداور ، ودائما تجد فى جعبته خطة جديدة يواجه بها أعقد المواقف .

انه ليس قديسا ..! انه شيطان على صورة انسان .. !

وتنهد المفتش تيل ، وفى غيظ بصق قطعة اللبان ، فاذا بها تطير فى الهواء ، وتستقر فوق قبعته المعلقة على المشجب وتلتصق بها .

الفصل الثالث عشر

رغم أن رولدافيا امارة صغيرة الا انها استطاعت على مر العصور أن تحتفظ باستقلالها بفضل دهاء ، حكامها وما طبعوا عليه من الدبلوماسية وبعد النظر .

وكانت ميناؤها الواقعة على بحر الشمال من

أهم الموانىء التى تلجأ اليهـا السفن للتزود بالمؤونة والوقود . أما صيد الاسماك فكان صناعتها الرئيسية التى تستمد منه الشطر الاكبر من دخلها .

والى هذه الميناء الصغيرة القابعة فى ركن من بحر الشمال كانت « البجعة » تشق طريقها وقد نشرت

واقبل العملاق هوبى يونياتز على القديس متسائلا:

ـ أتعتقد يا زعيمى ان الامير هوجو لا يتوقع قدومنا وانه لم يصدر أوامره بترصدنا .. ؟ ايتسنى لنـا يا ترى ان نباغته ..؟

فأجابه القديس : ـ بل العكس هو الصحيح ... لا شك عندى انه يترصد خطانا .

وابتسم القديس ابتسامة توحى بقلة الاكتراث ، فمهما يكن من دهاء الامير هوجو وصاحبه بولفيش ، فان لدى القديس دائما مفاجأة فى جعبته .

وقال سيمون تمبلار : ـ وهذه المفاجأة التى ادخرها للامير هـى أنت يا عزيزى هوبى ، فلا أحـد يعرف بوجودك معى . كما أن الامير لا يعرف أن كلارا جاءت فى صحبتنا .

وطبقا لاوامر القديس لم تظهر البجعة عند مشارف الميناء الا وقد بدأ الليل يرخى سدوله . وطبقا لاوامره أيضا اندست البجعة وسط أسطول مراكب الصيد وهى داخلة الى الميناء .

والقت البجعة مراسيها ، وخف الربان الى مقدمتها يحيى ضباط الميناء ، وقال له القومندان ضاحكا :

ـ لقد عرفت مركبك وهى قادمة تتهادى، وراهنت

مساعدى على نصف جنيه على ان هذه هى البجعة ، وقد كسبت الرهان ، أما هو فكان متشككا .

وكان القديس يستمع الى هذا الحديث راضيا وقد اندس بين البحارة مرتديا زيهم حتى لا يفطن احـــد الى حقيقة شخصيته .

وامر الربان بوضع الجسر الخشبى على حافـــة المركب ، وهبط عليه تتبعه كلارا والعمـــلاق هوبى يونياتز .

وانبرى رجل كان يقف مع الضباط قائلا :

ــ ان النزول الى البر محظور يا كابتن .

فقال له الربان : ــ ما هذا الذى تقول يا عزيزى كومز ..؟ الا تعرف صديقك القديم جودستروم .. ؟

فقال كومز : ــ فليكن ... لا اقل اذن من قـــدح من الجين .

ومضوا جميعا الى حانة قريبة .

وبدت المدينة متألقة الانوار ، والاعلام ترفرف فى كل مكان . وكان القوم مزدحمين فى الحانات ، وهم يشربون ويضجون ، والزينة بادية فى جميع الاركان .

وقال الربان متسائلا : ــ ليت شعرى ما هـــذا الذى يجرى هنا .. ؟ ولم ار النـــاس متزاحمين فى الشـــوارع ..؟

وقال له قومندان الميناء مجيبا :

ــ عجبا ..! الا تعرف ..؟ انه حفل تنصيب اميرتنا المحبوبة ايلين حاكمة على البلاد حفظها الله وحماها .

فتساءل الكابتن جودستروم فى استغراب :

ــ ولكن اما كان ينبغى ان تتريثوا حتى تنقضى فترة الحـــداد ..؟

فقال مستر كومز : — بل التعجيل واجب ، فالكثيرون يطمعون فى العرش ، وليس من صالح البلاد أن يبقى العرش شاغرا فترة طويلة .

فقالَ الربان : — ولهذا ارتبت فى أمر مركبى ..؟

ثم أردف ضاحكا : — اننى على اية حال لا انوى ان اضع التاج على راسى .

واغرقوا جميعا فى الضحك .

وقال كومز : — ان الاوامر الصادرة الى تقضى بأن أراقب كل من يفد الى البلاد لاول مرة .

وتطلع كومز الى هوبى يونياتز وقال :

— وبهذه المناسبة فاننى لا اعرف من يكون السيد .

فقال هوبى : تبالك ان أنت ارتبت فى أمرى ... اننى لا انوى النزول فى رولدافيا ، فاننى لست الا صحفيا أوفدتنى صحيفة كنجزتون للقيام بجوله استطلاع أطوف بها مختلف الموانى التى ترسو فيها البجعة .

فقال مستر كومز المتشكك متسائلا :

— وهل تنوى أن تحضر حفلات تنصيب الاميرة ؟

فأجابه هوبى يونياتز فى برود وغير اكتراث .

— ليس هذا فى برنامجى ، فاننا معشر الصحفيين لا نجرى الا وراء الاحداث الخطيرة ... ولكن اذا انتم الححتم واصررتم على دعوتى فقد أجرى بعض التعديل فى برنامجى ... ومع ذلك فانى غير راض عن طريقتكم فى استقبال الضيوف الاجانب .. اننا فى أمريكا لا نقر هذا الاسلوب .

فانبرى قومندان الميناء يقول محاولا أن يخفف من وطأة الموقف المتوتر :

ــ أرجوك أن تلتمس عذرا لمسيو كومز فان لديه أمرا صارما بمراقبة الوافدين الى المدينة ، اذ يبدو أن أفاقا خطيرا يدعى القديس ينوى التسلل الى البلاد لاثارة بعض المشاكل ، وقد رصدت مكافأة كبيرة لمن يعتقله .

فتساءل الكابتن جودستروم : وهل تعرف أوصافه ؟..

ــ نعم .. انه رجل ما زال فى عنفوان شبابه ، وله قوام رياضي ، ووجهه ملوح بالسمرة ، وشعره اسود ، أما عيناه فزرقاوان .

فقال الربان : هذ الاوصاف كما ترى لا تنطبق على صديقنا هذا .

وعندما هموا بالانصراف وجه قومندان الميناء الدعوة الى « الصحفى » هوبى يونياتز لحضور احتفالات التتويج ليوافى صحيفته بانبائها ، ولكن هوبى أبدى ترددا وتمنعا ، وقال انه يؤثر أن يقضى وقته على ظهر البجعة ليفرغ من كتابة بعض المقالات .

وكانت كلارا ــ طبقا لتعليمات القديس ــ قد زعمت أنها زوجة « للصحفى » هوبى يونياتز ، فتدخلت فى الحديث تسأل قومندان الميناء :

ــ أتعتقد أن احتفالات التتويج ستكون شائقة مثيرة ؟ ..

فأجابها : بل غاية فى الاثارة .

وتحولت كلارا الى زوجها المزعوم ترجوه أن يوافق على النزول الى البر لمشاهدة الاحتفالات .

فقال هوبى وهو يتنهد مستسلما :

ــ فليكن ... عليك اذن أن تأتى بحقائبنــــا من البجعة .

وهكذا تم تنفيذ الخطة التى رسمها القديس .

وهمت «مدام يونياتز» المزعومة بالذهاب الى المركب لاحضار الحقائب ، ولكن الكابتن جودستروم انبرى يقول :

ــ ابق أنت هنا يا مدام يونياتز وسنذهب نحن لاحضار الحقائب ، ولا شك أن السيدين يسعدهما أن يرحبا بك .

وكان السيدان سعيدين حقا بصحبتها ، فقد كانت لكلارا ابتسامة فاتنة سحرتهما ، وكانت ترنو اليهما بنظرات مغرية .

وفى غضون ذلك لم يشأ القديس أن يضيع دقيقة واحدة : تسلل من المركب وهو فى ثياب البحارة ، وأخذ يجوب الشوارع مندسا وسط الجماهير .

لقد جاء الى رولدافيا ليسهر على حياة الاميرة ايلين وليذود عنها ضد أعدائها ، فمهما فرضوا من حراسة ومهما أقاموا من بوليس ، فانه سوف يكــون بجانب الاميرة بعين ساهرة لا تغفل .

واقترب القديس من رجل يقف أمام واجهة متجر وضعت فيه صورة للاميرة وقال له :

ــ أهذه أميرتكم الجديدة .. ؟ انها ذات جمال فاتن

فقال الرجل مؤمنا : انها الفتنة مجسدة .

واستطرد القديس : اننى بحار أعمل فى مركب راسٍ فى الميناء ، ولكن الربان طردنى لاننى غازلت امرأته فهل يمكن أن ترشدنى الى فندق أبيت فيه ..؟ ول اسمح لى أولا أن اقدم اليك نفسى ... اننى اد

بات رامبلات .

فقال الرجل : ان الفنادق فى هذا الحى مشغولة كلها ولن تجدبها غرفة خالية بسبب الاحتفالات . ولكننى أعرف فندقا متواضعا فى منطقة المصانع يمكن ان تنزل به الليلة ... انه فندق جاكساند ، وانا نفسى ادعى جاكساند يا مسيو رامبلات .

واتجه رامبلات ـ أو القديس ـ الى حيث أشار محدثه ، ووقف الرجل يتابعه ببصره برهة وهو يبتعد ، ثم استدار ذاهبا الى ناحية الميناء ـ ليقابل مسيو كومز .

واستقبلت مدام جاكساند القديس بترحاب كبير ، وقال لها :

ـ لقد التقيت فى الطريق برجل أرشدنى الى الفندق، وقال أنه يدعى جاكساند ، فهل هو أبوك ياسيدتى ؟.

فضحكت المرأة وقالت : بل انه زوجى .

فحملق فيها القديس بنظرات دهشة وهو يقول :

ـ زوجك ؟.. ولكنك ما زلت فى ميعة الصبا يا آنسة .. أعنى يا سيدتى ، فكيف بكرت بالزواج ؟

وطاب هذا الثناء للمرأة المتصابية ، وضحكت فى غنج ودلال .

وقالت له فى صوت ناعم النبرات :

ـ هيا بنا لارشدك الى غرفتك .

فقال : ان لى شرطا واحدا .

فتساءلت : وما يكون هذا الشرط ..؟

فأجاب : أن تكون غرفتى بجانب غرفتك ..!

فغمغمت : يا لك من مجنون !

ولكنها كانت تبدو سعيدة راضية لا ينم صوتها على

الغضب .

وما أن خلا سيمون الى نفسه حتى أخذ يفحص الغرفة .

نعم ... انه يستطيع أن يتسلل منها الى الخارج دون أن يستخدم السلم ... ما عليه الا أن يخرج من النافذة ، ويسير قليلا فوق افريز البناء ، ثم يثب الى أسطح البيوت المجاورة ، ثم ينزل منها الى المدينة ، ويخف الى مقابلة هوبى يونياتز وكلارا اذ يترقبان حضوره ليتلقيا أوامره وتعليماته .

وخلع القديس ملابسه ، واستلقى فى فراشه ، وتأهب للنوم .

وفجأة خامره شعور خفى بأن هناك خطرا يدنو ويقترب .

وتريث بضع دقائق ، وازداد شعوره بهذا الخطر الخفى .

ودون أن يصدر اى صوت زايل الفراش ، وفتح باب الغرفة فى حرص وحذر ، وهبط السلم الخشبى درجة بعد درجة ، حريصا على أن لا تقرقع الدرجات تحت قدميه .

وحتى بلغ منحنى السلم أطل من فوق السياج .

هناك فى بهو الطابق الاول كان صاحب الفندق جالسا ومعه مسيو كومز ، وأمامهما زجاجة من الشراب .

وسمع مسيو جاكساند يقول : اذا كان حقا هو نفسه فسوف نحصل على مكافأة طيبة .

فقال مسيو كومز : طبعا ؟ ولكن يجب أن نستوثق اولا من شخصيته ، والا هزأ منا رجال الشرطة .

وخرجت مدام جاكساند من المطبخ وهى باد

الانفعال والهياج ، وقالت تخاطب زوجها :

ــ هل جننت يا جاكساند ؟.. ان هذا الشاب لا يمكن أن يكون متآمرا ... انه مجرد بحار لا شأن له بالسياسة .

فقال زوجها : وما يدريك انه القديس متنكرا .

فقالت : ان القديس مجرم دولى ، والمجرمون الدوليون لا ينزلون فى الفنادق الحقيرة ، وانما يختارون أفخمها وأفخرها .

وكانت فى الحق حجة مقنعة بددت وساوسهم .

بيد أن مستر كومز قال :

ــ على أية حال سأبقى هنا الليلة لارقب حركاته ، فعلى بزجاجة من الشراب .

وحين أتى على الزجاجة ، صعد الى الطابق الثانى وألصق أذنه بالباب يرهف السمع ، وتناهى اليه شهيق القديس وزفيره وهو يتنفس فى هدوء وقد استغرق فى النوم .

الفصل الرابع عشر

فى احدى غرف القصر ، الملكى كانت ايلين جالسة تنتظر بدء حفلة التتويج .

كانت قد جاءت الى رولدافيا مستقلة الطائرة وفى صحبتها الامير هوجو واللورد بولفيش . وقد حرص الرجلان على ان لا يتركاها بمفردها لحظة واحدة ، خشية أن يبدر من جانبها تصرف طائش غير متسم بالحكمة .

وكانت هى من ناحيتها لا تحاول أن تخفى مشاعرها عن الرجلين ، فكانت لا تفتأ تقول لهما :

ــ لقد حاولتما أن تزرعا فى نفسى بذور الشك ضد القــديس ، وفرقتما بيننـــا ، ولكننى ما زلت أثق به ، وانى لعلى يقين من انه سيظهر فجأة من حيث لا تدريان ... انه لا يمكن أن يتخلى عنى .

ويقول لها الامير هوجو مؤنبـــا :

ــ دعك من الاوهام يا الين فانه لا يطمع الا فى جواهر التاج .. ثم ان بوليسنا يقظ منتبه ، فان تجاسر وجاء الى رولدافيا فسوف يعتقل فى الحال .

ــ ولكنه أقسم لى أن يحضر حفـــلات التتويج ، والقديس رجل لا يخلف وعدا .

ولكن كان يبدو أن آمال ايلين أخذت تبدد وتتلاشى مع مرور الايام ، وبدا كل شىء هادئا فى رولدافيا .

وما كان أحد ليدرى أن هذا البحـــار الذى يدعو نفسه بات رامبلات ، والذى ينزل فى فندق جاكسان الحقير ــ هو نفســـه سيمون تمبلار المعروف باسم القـــديس .

ولقد ارتاب مسيو كومز فى هذا البحار وخامرته بعض الشكوك ، ولكنه حين وجده مستغرقا فى النوم هدأ باله واطمأن ، وأوى بدوره الى فراشه فى الفندق .

بيد أن فكرة مفاجئة طرأت على باله ، فارتدى ثيابه وغادر الفندق ، ووقف فى الشارع الخلفى فى بقعة يحفها الظلام ، ومضى يرقب الواجهة الخلفية للفندق .

وعلى حين فجأة راى نافذة تفتح فى الطابق العلوى ورأى رجلا ينسل من النافذة ، ويسير فوق افريز البنـــاء .

وقال مسيو كومز فى نفسه وقد استحال شكه يقينا

— هذا هو القديس دون ريب ! .. إذن فقـــد استطاع أن يتسلل الى رولدافيا خفية عن العيون .

وظلت عينا مسيو كومز تلاحق الرجل المتسلل وهو واقف فوق سطح البناء المجاور .

كان هناك منور بين هذا البيت والابنية المجاورة ، ولكن الرجل شد قامته وتأهب ، ثم قفز ، فاذا به فى الناحية الاخرى وقد اجتاز المنور القاتل .

وكان الشىء الوحيد الــذى طاف بذهنه عندئذ هو أنه ينبغى أن لا يدع القديس يفلت منــــه . ومضى يتصور الثناء الذى سوف يسمعه حين يعتقل القديس ، والمكافأة التى سوف ينالها .

وانطلق مسيو كومز يجرى فى الشارع المحاذى للابنية التى يقفز القديس فوق أسطحها .

وخطر لكومز أن يستعين برجل من رجال الشرطة ، ولكنه ما لبث أن نفض هذا الخاطر عن ذهنه ، وآثر أن ينفرد وحده بالامر ، لان البوليس سوف يعمل على حرمانه من المكافأة والاســـتئثار لانفســـهم بالمكافأة المرصودة .

وفجأة اختفى القديس من فوق الاسطح ، ولم يعد يرى له أثرا ، وطارت أحلام المكافأة والثراء .

وتسمر مسيو كومز مكانه ، وقد طغى عليــــه الحزن .

ولكن فجأة أيضا ظهر القديس يمشى فى الشــارع على مهل على قيد عشرات من الامتار ، وفى أعقابه انطلق مسيو كومز وقد عاوده الشعور بالسعادة .

ولكن الشىء الذى كان يجهله مسيو كومز هو أن القديس لمحه متربصا فى الطريق المظلم بمجرد أن فتح النافذة ، وأنه كان يعرف أن مسيو كومز يتعقبه ، بل

انه كان حريصا على ان يستـــدرج مسيو كومز وأن يجعله يمشي وراءه .

وهكذا انطلق الرجلان فى الطرقات ، القـــديس فى المقدمة ، ومسيو كومز وراءه .. ومضى القديس يتجنب الشوارع المأهولة الغاصة بالناس ، ولا يطوف الا الطرقات الجانبية المهجورة حتى يفوت على مسيو كومز فرصة الاستنجاد بالمـــارة لاعتقاله .

وامتدت المطاردة حتى انتهيا الى أرصفة الميناء . وكانت البجعة لا تزال راسية هناك ناشرة شراعها ، فاقترب منها القديس ، ولكنه لم يصعد اليها ، وانمـــا استوى جالسا فوق احدى بالات البضاعة المكدســـة على الرصيف .

واقترب منه مسيو كومز ، وبدوره ربض متربصا وراء احدى البالات ، وعينه على القديس لا يغفـــل عنه لحظة .

وظهر هوبى بونيـــاتز على سطح المركب ، ورأى زعيمه جالسا ، فبـــادر يهبط اليه مسرعا ، وهمس القـــديس :

— ثمة رجل تعقبنى من الفندق الى هنا ... انه متوار وراء هذه البالة الصفراء التى الى اليســـار ، فاذهب لتحيته والترحيب به ، ولكن اياك أن تقتله .. لا اريده جثة هامدة ، وانما أريده حيا يتنفس .

ورأى مسيو كومز شبح هوبى وهو يتحدث الى القديس فقال فى نفسه :

— ان له شريكا اذن .. !

وطارت به الاحلام السعيدة الى المكافأة ، والى قصر تهديه اليه الحكومة ، والى يخت يجوب به البحار ولكن أحلامه ما لبثت أن طارت وتبددت حين تلق

ضربة على قفاه من قبضة هوبى يونياتز .
دار هوبى وراء البالات متسترا بها ، وجاء من خلف مسيو كومز وهو ملق باله الى القديس يرقبه ، ثم حياه ورحب به بتلك اللطمة العنيفة .
وكان كومز حسن الادب بحيث لم يرد على تحية هوبى ، وانما تهاوى على الارض فاقدا الوعى .
وحمله هوبى ومضى به الى القديس وهو يقول :
ــ هاأنذا قد جئت بالطرد .
ــ خذه اذن الى البجعة .
وكان الكابتن جودستروم قد خف الى القديس وصاحبه بدوره فقال :
ــ وهل نغرقه فى عرض البحر ..؟
فأجابه القديس وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة :
ــ كلا .. لا داعى لهذا .. يكفى أن نحبسه حتى تنتهى احتفالات التتويج ، وعندئذ نطلق سراحه . ولكن حذار أن يكون فى غرفته ولو ثقب صغير ، فمسيو كومز ضئيل الجسم كما ترى ، ويمكنه أن يتسلل من أى ثقب شأن الفيران .
وسمع القديس وقع خطوات تقترب ، فدفع بصاحبيه وراء البالات وهو يهيب بهما : اختبآ هنا .
وجاء جنديان يتسكعان ، وهما يدخنان ويتسامران بتبادل الحديث ، ومرا أمام البالات دون أن يخطر لهما أن وراء هذه الطرود ثلاثة رجال متأهبين للانقضاض عليهما اذا ما ساورتهما بعض الشكوك .
ولكن الجنديين تابعا طريقهما فى اطمئنان .
وكمم الربان وهوبى الرجل الغائب عن الوعى ، وحملاه فيما بينهما ومضيا به الى البجعة .

ورجع القديس الى فندقه ، وقبـــل أن يأوى الى فراشـه ترك فى غرفة مسيو كومز مفكرة صغيرة يقول فيها أنه انصرف لامر عاجل ، وذيلها بتوقيع مبهم هو حرف «ك» ليس الا .

تتابعت الايام ، وحفلات التتويج هى الشغل الشاغل لرولدافيا وأهلها .

وذات صباح خرجت الاميرة الى الكنيسة فى مركبتها، والناس صفوف على الجانبين يتطلعون الى مشـــاهدة أميرتهم المحبوبة .

وخرجت من بين الصفوف امرأة تحمل باقة من الورد، وحاولت المرأة أن تقترب من المركبـــة ، ولكن رجال الشرطة حالوا دونها والوصول .

وتطلعت المرأة الشابة الى الاميرة بنظرة فيهـــا توسل ، وفيها أيضا غموض خفي .

وقالت الاميرة : دعوها .

وتقدمت الفتاة من المركبة ، وقدمت البـــاقة الى الاميرة .

وقالت ايلين : شكرا لك يا آنسة .

فقالت الفتاة فى صوت هامس :

ـ انها ليست منى .. وانما منه « هو » .

وقالت : فهمت ... اشكريه نيابة عنى .

ووعت الاميرة الـــسالة الخفية .

وتابعت المركبة طريقها ، وفحصت الاميرة الباقة ووجدت قصاصة ورق مدسوسة بين الازهار ، وقبل أن تفضها كانت على يقين من أنها من القديس .

وكان هذا هو نص الرسالة :

« ثقى بى واطمئنى .. .انى لست بعيدا .. اط

منهم أن يحضروا اليك التاج لتتفرجى على التاج » .
وطغى على الاميرة شعور من الفرح .. !
كانت تعلم أن القديس لا يمكن أن يتخلى عنها ، وهو الان قريب منها ، ساهر عليها .
الان لم تعد تخشى احدا ، ومادام بجانبها فهى تستطيع أن تتحدى العالم بأسره .
ومزقت الاميرة الرسالة قطعا صغيرة وألقت بها من نافذة السيارة وهى تتطلع الى المرآة العاكسة حريصة على أن لا يلمحها السائق وهى تفعل هذا .
وقال لها الامير هوجو وقد عادت الى القصر :
ـ انى أراك سعيدة مبتهجة .
فقالت : وكيف لا أكون وأنا اتوج اميرة على البلاد .
ثم أردفت : والواقع أننى أتعجل يوم التتويج .
فقال : تجملى بالصبر يا ايلين ، فلم يبق الا يومان .
وساد الصمت برهة ، ثم مال اليها هوجو قائلا :
ـ أظن انه قد حان الوقت يا عزيزتى ايلين لكى تتخذى قرارك النهائى .
فتساءلت : وعن أى شىء أتخذ القرار ؟.
ـ ما أحسبك تجهلين ما أعنى ... لقد طلب اللورد بولفيش يدك ، وهو يلح الحاحا شديدا .
فقالت : وما أحسبك أنت تجهل رأيى ... انك تعرف أننى رفضت طلبه .
وفى هذه اللحظة سمعت نقرات على الباب ، ودخل أحد ضباط الشرطة .
وقال الامير ساخطا فى صرامة :
ـ الم أنبه عليكم بأن لا يزعجنى أحد .
ـ انه مدير الشرطة على التليفون يا سمو الامير لامر عاجل وهام .

وقال الامير وما زال الغضب آخذا بنبراته :
ــ وهل هنـــاك أهم من ان اتحــدث الى اميرتنـــا المحبوبة . هيا اغرب عن وجهى .
وتردد الضابط برهة ، ولكنه ما لبث أن استدار وغادر القاعة .
كان الضابط المسكين فى حيرة من أمره .. كان حائرا بين غضبة الامير وبين أوامر مدير الشرطة الذى قال له :
« يجب أن أتحدث الى الامير فورا ... انها مسألة حياة أو موت » .. وها هو ذا الامير يرفض باصرار أن يتحدث الى مدير الشرطة .
ولم يكن مدير الشرطة مغاليا حين قال انها مسألة حياة أو موت ، فمنذ ربع ساعة دخل ادارة الشرطة رجل غير مهندم الثياب ، لحيته نامية لم تحلق منـــذ أيام ، وأصر على مقابلة المدير شخصيا لامر هام .
ثم روى له قصة عجيبة كأنها أسطورة .
قال : اننى أدعى كومز ... هير ويلهام كومز ، واعمل موظفا فى الميناء ، وقد رأيت رجلا اشتبهت فى أمره ، وتعقبته لكى اقبض عليه فاذا بى افاجأ بالاعتداء على ، فقد نزلت على رأسى من الخلف ضربة أفقدتنى الوعى . وعندما أفقت وجدتنى على ظهر مركب شراعى فى عرض البحر . ولحسن الحظ لم يحاول أحد اغتيالى، وحين رست المركب فى احدى الموانىء استطعت ان اتسلل هاربا .
ولم يصدق مدير الشرطة كلمة مما سمع ، وانكر ما القى به اليه الرجل ، وعاد الرجل يكرر القصـــة ويقسم على صحتهـــا ، وفى هـــذه المرة اقحم فيهـــا

الكلمة المثيرة الرهيبة ... أقحم اسم القديس .
قال ان الدى اعتدى عليه هو القديس ، وان الذى اختطفه هو القديس ..!

وتكهرب الجو ، وقفز مدير الشرطة الى التليفون يطلب القصر الملكى ، ويصر على الاتصال بالامير هوجو شخصيا ، وفى الحال ، ومهما كانت الظروف .

ولكن الامير رفض أن يتحدث اليه ، فقد كان فى هذه اللحظة منهمكا فى محاولة لاقناع الاميرة ايلين بالزواج من صديقه اللورد بولفيش .

كان يقول لها : أقول لك يا ايلين وأعيد القول ان رولدافيا ستجنى من وراء هذا الزواج فوائد جمة ...

فأجابته ايلين فى اصرار ولكن فى هدوء :

ـ وأنا اقول لك واكرر عليك القول أننى أرفض الزواج من اللورد بولفيش ، فهو رغم ثرائه ولقبه يثير اشمئزازى بدمامة وجهه ، ولست أطيق أن أنظر الى وجهه لحظة واحدة .

فقال الامير : جمال الرجل أمر ثانوى ... يجب يا ايلين أن تنظرى الى مصلحة البلاد ... يجب أن تفكرى فى سعادة شعبك .

فقالت : انى أعرف كيف أجعل شعبى سعيدا دون أن أضطر الى أن اتزوج هذا القرد الدميم .

أطفأ الامير هوجو سيجاره فى حركة عصبية ، ونهض واقفا ، وقد ارتسمت على وجهه امارات الغضب ..

لقد حاول أن يقنعها بالحسنى ، فأبت وركبت رأسها .

انها اذن هى الجانية على نفسها ... !

لا مفر أمامه الان الا أن يلجأ الى القوة ... لقد

أعد كل شيء من قبل ، واتخذ العـــدة لارغامها على هذا الزواج ، ولكنه حاول أن يلاينها ويلاطفها ، فليس عليه اذن الا أن يكشف أوراقه .

وقال لها فى صوت صارم ينبض بالغضب .

ـــ اسمعى يا ايلين ... يجب أن تفهمى أن هـــذا الزواج يجب أن يتم .

ولبثت صامتة لا تجيب ، غير مبالية بأن تجيب .

واستطرد : ألا تدرى كيف يا ايلين ان حياتك بين يدى .

فتطلعت اليه فى دهشة وقالت :

ـــ الى هذا الحد يهمك ان أتزوج اللورد بولفيش ..؟

انى ما زلت مصرة على الرفض ، وانى على استعداد لأن اقبل هذ المخاطرة فافعل بحياتى ما تشاء .

ثم أردفت : ان تهديدك هذا يثـــير شكوكى .... كان أبى نازلا عند اللورد بولفيش عندما استقل الطائرة فانفجرت به ، فلم لا يكون انفجارها عمـــلا تخريبيا . وها أنت ذا تهددنى الآن بالموت ، وهذا يحملنى على التفكير فى أن اربط بين الامرين .

كانت ايلين شجاعة اذ تجاسرت على أن تنطق بهذه الكلمات ، وذلك انها منذ تلقت رسالة القديس أحست أنها قوية ، وان فى امكانها أن تواجه المؤامرات دون خوف أو وجل .

ولم يرد الامير على أتهاماتها ، ولم يحاول أن ينفيها ، وانما أخذ يذرع القاعة فى خطوات عصبية .

وللمرة الثانية طرق البـــاب ، ودخل ياور الامير الخاص .

وصرخ فيه الامير هوجو :

ــ ألم أقل أن لا يزعجنى احد ؟..

ووقف الياور أمام الاميرة ورفع يده بالتحية العسكرية وقال :

ــ لقد جاء الجواهرجى بالتاج يا سمو الاميرة .

وانبرى الامير هوجو يقول : ومن الذى طلب اليه أن يحضر التاج .؟ ..

فقالت الاميرة : أنا الذى أمرت بذلك .

واستطردت : لقد أردت أن أجرب التاج على رأسى قبل حفل التتويج ، فقد يكون واسعا أو ضيقا ويحتاج الى تعديل . .

والتفتت الى الامير وقالت : والآن هل لك يا هوجو أن تنصرف حتى أجرب التاج .

وخرج الامير هوجو ، ودخل الجواهرجى هارسيك الذى عاش حياته يبيع الى الاسرة المالكة أنفس المجوهرات .

ووراء هارسيك كان أحد عماله يحمل صندوقا كبيرا به التاج .

كان العامل يرتدى الردنجوت الاسود ، وكان له شارب كبير مفتول يكاد يغطى نصف وجهه .

وانحنى الجواهرجى هارسيك أمام الاميرة قائلا :

ــ لقد جئتك بالتاج يا مولاتى تنفيذا لامرك .

وفى اللحظة التى انحنى فيها هارسيك أمام الاميرة أزاح العامل الواقف وراءه شاربه ، فاذا به ينكشف عن وجه القديس ، وقبل أن يعتدل الجواهرجى كان العامل قد أعاد شاربه مكانه .

الفصل الخامس عشر

كانت مفاجأة مذهلة لم تتوقعها الاميرة ايلين .

الجواهرجي هارسيك ينحنى أمام الاميرة ، والعامل الذى يحمل صندوق التاج واقف وراءه .

العامل يزيح شاربه الكثيف ، ثم يعيـــده مكانه ، وينكشف تحت الشارب وجه سيمون تمبلار ـــ القديس.

وحملقت الاميرة مشدوهة فاغرة العينين ، وقبـــل أن يعتدل الجواهرجى واقفا كانت الاميرة قد تمالكت جأشــــها .

ها هو القديس قد بر بوعده ، وخف اليها لينقذها .

القديس الـــذى كانت تمنى النفس بقدومه واقف امامها على قيد خطوات .

وقال الجواهرجى هارسيك فى نبرة احترام :

ـــ انه لشرف عظيم يا مولاتى أن ادعى الى القصر لاقدم الى سموكم تاج الامارة .

ووضع العامل المزيف الصندوق فوق المنضدة ، ثم فتحه وأخرج من داخله خزانة حديدية صغيرة وضعها بجانب الصندوق .

وابتسمت الاميرة فى رقة وقالت :

ـــ لا شك أنك اتخذت احتياطات دقيقة حتى لا يسرق التاج من محلكم .

فأجاب هارسيك فى زهو وخيلاء :

ـــ لقد اتخذنا اشد الاحتياطات يا مولاتى ، فالمحل محاط بالجنود. يحرسونه ليلا ونهارا ، والتاج مودع فى خزانة ضخمـــة يستحيل على أعتى اللصـــوص أن

يغتصبها ، فضلا عن انها مزودة بجهاز انذار كهربائى. فضلا عن اننى نصبت أمام الخزانة سريرا صـــغيرا كنت انام عليه ، فلا سبيل لاحد للوصول الى الخزانة الا اذا قتلنى وسار على جثتى .

وسألته الاميرة : ـ وفى الطريق من متجرك الـــى القصر ... هل اتخذت شيئا من الاحتياطات ..؟

ـ كانت تحيط بسيارتى كوكبة من رجال الشرطـــة راكبى الموتوسيكلات : وسيارتى نفسها كان يقودها احد رجال البوليس ... كلا يا مولاتى ... ان التاج فى امان لا يمكن ان تمتد اليه يد بالسرقة .

وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتى الاميرة ، بل كادت ان تغرق فى الضحك ، فهذا التاج الـذى يتحدث عنه الجواهرجى فى اطمئنان كان فى هذه اللحظة بين يدى اشهر لص فى العالم .

وقالت الاميرة : ـ وهذا العامل الذى جئت به معك ...من يكون يا ترى ، فانى لم اره من قبل .

فقال الجواهرجى : ـ آه ... اتعنين بورنز ..؟ لقد اوفده الى زميل عزيز فى لاهـــاى ، وهـــو خبـــير فى الجواهر ، وقد امتدحه زميلى واثنى على رقته وامانته ونزاهتـــه .

وتحولت الفتاة الى سيمون تمبلار وسألته :

ـ وكم مضى عليك فى خدمة مسيو هارسيك ..؟

فأجابها القديس : ـ منذ ايام يا صاحبة السمو .

وعقب الجواهرجى قائلا : ـ لقد صادف أن مرض موظفى القديم فجأة ، فكان أن حل بورنز مكانه .

وقالت الاميرة : والان يجب ان أعترف يا مســـيو هارسيك بأننى متلهفة على تجربة التاج .

وتناول القديس من جيبه مفتاحا فتح به الخزانة الحديدية التى تضم التاج ، وجعلوا يتأملونه برهة فى افتتان ، فقد كان تحفة رائعة تخلب الابصار .

وهم سيمون بأن يقدم التاج الى الاميرة ، ولكنها ابتدرته قائلة :

ــ تعال ساعدنى على تجربته يا بورنز .

ومشت معه الى المرآة ، ولكن هارسيك تبعهما فلم تسنح لها الفرصة لكى تتحدث الى القديس .

ووضع التاج على راسها ، وتأملت نفسها فى المرآة قليلا ، ثم قالت :

ــ رائع ... رائع جدا ... ولكن الا ترى يا مسيو هارسيك انه ثقيل الى حد ما على راسى ..؟ ان راسى تكاد تنوء به ..؟

ــ حقا يا مولاتى ... انه من السهل ان نخف وزنه قليلا .

فقالت : ــ حسنا ... فليبق بورنز اذن هنا ليصلحه .

فقال الجواهرجى : ــ بل يجب أن نأخذه الى المحل ثم نعيده الى سموكم بعد ان نفرغ منه .

واخفقت هذه الحيلة ايضا ، فلم تجد الاميرة مناصا من مواجهة الموقف صراحة ودون تردد .

قالت تخاطب الجواهرجى : ــ مسيو هارسيك ... هل لك أن تنتظر قليلا فى قاعة الاستقبال ريثما اتحدث قليلا الى بورنز .. ؟

وانحنى امامها الجواهرجى الكهل وانصرف دون ان يجرؤ على الاستفسار ، وحمل معه التاج .

وما ان غادر هارسيك القاعة حتى قال القديس :

ــ أرأيت يا ايلين اننى وفيت بعهدى ..؟

فقالت : ــ ولكنى خائفة يا سيمون ... لقد هددنى الامير هوجو منذ لحظات ، وهو يبدو متأكدا من موقفه، واثقا من الانتصار . كما أنه يطالبنى فى الحاح بأن اتزوج اللورد بولفيش .

فسألها : ــ وهل قبلت ..؟

وتضرج وجهها احمرارا وقالت :

ــ وهل أتزوج هذا القرد الدميم ..؟

وتطلعت اليه الاميرة فى وله وافتتان .

ولكنها لم تكن أميرة تلك التى ترنو الى القديس بنظرات ولهى ... كانت مجرد امرأة تيمها الحب ... فى هذه اللحظة لم تكن ايلين أميرة ترتقى عرشا ، ولم يكن سيمون أفاقا مغامرا ــ بل كانا مجرد رجل وامرأة .

انها فى سبيله لعلى استعداد لان تتخلى عن العرش، وان تهجر بلادها وشعبها ، لترتمى فى احضان ذلك الرجل الذى تدلهت فى حبه .

وتنهدت الاميرة ، وتنهد القديس .

وبعد سكتة قصيرة سألته :

ــ ولكن كيف استطعت ان تفرض نفسك على مسيو هارنسيك ..؟

فابتسم قائلا : ــ بمنتهى السهولة ... ذلك الجواهرجى الهولندى الذى زكانى عنده لم يكن الا مساعدى منتحلا اسم هوب فون هونياز ..!

وضحكت الاميرة وقالت : ــ اتعنى صديقك العملاق هوبى يونياتز ..؟ وأين هو الان ..؟

ــ ضيف على القصر باعتباره صحفيا امريكيا ومعه زوجته ... اعنى زوجته المزعومة ... كلارا ...

الفتاة التى قدمت اليك باقة الورد وأنت فى طريقك الى الكنيسة .

وراق للاميرة أن تسمع تفاصيل هذه المغامرة الطريفة فسألته :

ــ وما الذى حدث للموظف الذى كان يعمل عند مسيو هارسيك ومرض فجأة ..؟

فأجابها القديس : ــ انه رجل شريف أمين يا صاحبة السمو ... لقد دعوته الى نزهة خلوية ، وكان فى نيتى أن أختطفه وأحبسه ان رفض الرشوة التى سأعرضها عليه لكى يتمارض حتى يتسنى لى ان أحل مكانه . ولكنى بعد ان جاذبته أطراف الحديث رأيت ان لا داعى لاختطافه أو رشوته ، فقد تبينت انه متعلق بأميرته أشد التعلق ، فصارحته بشىء عن المؤامرة التى تحاك ضد أميرته المحبوبة ، فرضى على الفور أن ينقطع عن العمل بحجة انه مريض . وهكذا استطعت ان احضر اليك رغم أنف الشرطة .

ثم روى لها بعد ذلك ما كان من أمر حضوره الى رولدافيا على ظهر المركب « البجعة » وكيف اختطف مسيو كومز وحبسه فى المركب .

وغشيت وجه الاميرة سحابة من القلق وقالت :

ــ منذ لحظات قليلة اتصل مدير الشرطة بالامير هوجو وطلب أن يتحدث اليه لامر عاجل وخطير ، فاحترس يا سيمون وكن على حذر . وهيا عجل الان بالانصراف ، فقد أمضيت هنا وقتا طويلا .

ودفعته الى الباب ، وان هى الا لحظات حتى لحق برئيسه الجواهرجى هارسيك .

وتناهى الى سمع الاميرة لغط صادر من فناء القصر ، فأسرعت تطل من النافذة تتبين الامر .

كان رجال البوليس منتشرين فى الفناء وعند البوابة، وأسلحتهم مشروعة ، والضباط يروحون ويغــدون ، وامارات الاهتمام بادية فى وجوههم .

ترى ما الذى جرى ..؟ ما سر هذه الجلبة ..؟

ورأت الجواهرجى يتقدم الى البوابة ، ومن خلفه تابعه بورنز (القديس) يحمل صندوق التاج .

واقترب قائد الحرس من الجواهرجى وقال له باسما:

ــ آه ... لقد اقترب اليوم العظيــم يا مســيو هارســيك .

فسأله الرجل : ــ ولكن ما سر هــذه الحراســة المشددة ..؟ أتراهم خائفين على التاج أن يسرق ..؟

ــ بل انهم خائفون على حياة اميرتنا المحبوبة ، فقد تسلل الى المدينة أحد الفوضويين الخطرين ... رجل يدعى القديس ...

فقال هارسيك : ــ اذن عليكم أن تفتحوا عيونكم .

ثم أشار الى تابعه قائلا :

ــ هذا هو مساعدى صامويل بورنز ، فأرجوك أن تسهل له الدخول والخروج ، فقد يدعو الامر الى أن أبعث به لمقابلة الاميرة .

فأجابه قائد الحرس : ــ طبعا ... طبعا ... كن مطمئنــا .

واستقل الرجلان سيارتهما وغادرا القصر .

وفى غضون ذلك كان الامير هوجو قد اتصل تليفونيا بمدير الشرطة ، وأخذ يستمع الى القصة التى يسردها عليــه .

وقال الامير متسائلا : ــ اذن فقد تعرف كومز على شخصية القديس ..؟ فلماذا اذن لم يبادر باخطــار

البوليس ...

ـ لا أدرى يا سمو الأمير .

فقال الامير : ـ لا شك انه كتم الامر حتى يظفر بالمكافأة وحده . اسمع ... اقبض على كومز حالا وأودعه السجن ، وفتش فندق جاكساند واقبض على صاحبه ان ارتبت فى أمره ...

ثم أردف : ـ وثمة شىء آخر ... انك مسئول شخصيا عن اعتقال القديس ... حيا أو ميتا ... فاذا حل يوم التتويج دون ان تقبض عليه فاعتبر نفسك مستقيلا ... مفهوم .

ـ مفهوم يا صاحب السمو .

وهرول مدير الشرطة يصدر العشرات من الاوامر والتعليمات وجبينه يتفصد عرقا .

الفصل السادس عشر

أودع الجواهرجى التاج النفيس خزانته المنيعة ، وأغلق محله، ومنح عامله صامويل بورنز عطلة يشاهد فيها معالم المدينة .

وانطلق القديس يجوب شوارع المدينة آمنا مطمئنا، فما كان لأحد أن يكتشف حقيقة شخصيته وهو متنكر بهذا الشارب الكث الذى بدل من هيئته تبديلا كاملا .

وانتهى به المطاف الى فندق كومودور الذى ينزل به الزوجان المزعومان كلارا وهوبى يونياتز .

ودار حول الفندق ، ولمح صديقه هوبى جالسا فى الشرفة وأمامه زجاجة من الخمر ، اغلب الظن انها كادت تفرغ . والى جانبه كانت تجلس زوجته المزعومة كلارا ..

ولمح الزوجان شبح القديس وهو يتسكع أمام الفندق، فأشار اليهما هذا خفية ، فبادرا يغادران مجلسهما ، ولحقا به ، فسار أمامهما متجها صوب الميناء،حريصا على أن لا يقترب منهما أو يتحدث اليهما ، خشية أن يراه أحد معهما .

وانتهت بهما المسيرة الى جمع من السواح يتوسطهم دليل يشرح لهم ما يرون أمامهم من معالم المدينـــة ، فاندسوا وراء الحشد المتزاحم .

ودون ان يدير القديس رأســـه بل حتى دون ان يحرك شفتيه قال هامسا :

ــ أبحث عن مهندس لاسلكى .. أريد جهاز راديو دقيق الحجم مع مكبر للصـــوت .. جهـــاز استقبال وارســـال ..

فأجابه هوبى : ــ سأعده لك ..

ــ وليكن هذا المهندس مطيعا واخرس يكتم السر ومن أنصار الأميرة ..

وقال الدليل الذى يصحب السائحين :

ــ وها هى أيها السادة سفينتنا الحربية «أولاف» راسية فى الميناء .. انها من أحدث السفن فى العالم. ان الاقتراب منها محظور ، ولكنى سأقدم اليكم منظارا مكبرا حتى يتسنى لكم مشاهدتها عن كثب .

وقدم الدليل المنظار الى السائحين واحدا بعد الآخر حتى انتهى الى يد كلارا .

وما استقرت العدسات على السفينة أولاف حتى اضطربت كلارا وارتجفت يداها ، وقالت تخاطب هوبى:

ــ انظر .. ان مشهدا لا ينبغى أن يفوتك ..

وذلك انها رأت أخاها أميل فوق سطح السفينة .

ولم يغب عن القديس ما عرا كلارا من اضطراب

فلما استقر المنظار المكبر فى يده أدرك سر اضطرابها وانفعـــالها .

اذن فهذه هى السفينة التى اعتقل فيها الأمير هوجو أخاها اميل لفشله فى اختطاف الاميرة ايلين حين كانت فى جامايكا .

وتبادل القديس مع كلارا نظرة سريعة عرفت منها انه استطاع أن يرى أخاها ، وأنه ما زال عند وعـــده لها بأن ينقذه من بين براثن الامير هوجو .

وابتعد الثلاثة عن جموع السائحين ، فلمـــا بلغوا مكانا على الأرصـــفة لا يراهم فيه أحـــد قالت كلارا متوســـلة :

ــ ارجوك .. لا تنسى وعدك ..

فأجابها القديس : اطمئنى .. فالقديسون لاينكثون بالوعـــــد .

ثم أردف يسألها : ولكن ايمكننى ان أثق بأخيك اميل؟

ــ اقسم لك على انه لن يغدر بك .

فقال : ولكن حياته تستهدف للخطر .. ؟

ــ وما الذى يمكن ان يخسره .. ؟ انه هالك على أية حال .. لقد حكم عليـــه الأمير هوجو بالاعدام ، واشرف له أن يموت فى سبيل أميرتنا المحبوبة .

وقال القديس : ــ سأكون الليلة فى حاجة اليـــك يا هوبى .

ــ اننى رهن اشارتك .. هل أكون مسلحا ؟

فأومأ القديس برأســه ايجابا ، ثم ابتعد عنهمـــا منصرفا .

وبعـــد ساعة رجع القديس الى محل الجواهرجى وقال له :

ــ لقد بحثت فى طول المدينة وعرضها عن فنـــدق

يا سيدى دون أن أجد غرفة واحدة خالية ،ولذلك سأضطر الى مغادرة رولدافيا غدا راجعا الى بلادى.

فصاح فيه مسيو هارسيك : — محال .. انى فى حاجة اليك .. سأضع لك سريرا فى الجاراج .. حتى تنتهى أيام الاحتفالات .

فقال سيمون : — شكرا لك يا سيدى .. ما أطيب قلبك .. !

وما كان فى الحق يبغى الا هذا ..

كان سعيدا بأن يتفادى النزول فى الفنادق ، فمما يدريه أن رجال الشرطة قد يقلبونها رأسا على عقب بحثا عن القديس ..



ما أن هبط الليل ولف المدينة فى أستاره حتى كان هناك قارب صغير يضرب فى الماء مقتربا من السفينة الحربية « أولاف » . ولم يكن فى هذا القارب الا صياد فقير رث الثياب .

وألقى الصياد نظرة سريعة على السفينة الحربية ، ثم تناول المجاديف من جديد ، واخذ يضرب بها الماء محاولا أن يزداد اقترابا من السفينة .

وألقى الصياد بصنارته فى الماء ، ولبث ينتظر .

ورآه بحار كان يتجول فوق السفينة الحربية فمال فوق السياج وناداه يسأله :

— هل صدت شيئا يا صاح ؟

وأجابه الصياد المسكين : — ليس بعد ، فالحظ يعاندنى الليلة ، ولكن السنارة بدأت تغمز الان بشدة .

وجذب الحبل فألفاه فارغا ، فألقى به فى المياه مرة اخرى ..

وقال الصياد يخاطب البحارة الذين يطلون عليه

من أعلى :
ــ ألم تنزلوا الى البر الليلة ؟
ــ لقد نزل أغلب الرفاق ، أما الباقون فعهد اليهم بالحراســـــة ..
ــ هذا شيء يؤسف له ، فالمدينة متألقة الأنوار ، والخمر تراق بلا حساب .
وضحك أحد البحارة وقال : ــ وهــذا هو الذى يحـــزننى ..
فأجابه الصياد : ــ أما أنا فأشد منــك حزنا اذ اضطررت أن أمضى الليل بطوله فى البحر سعيا وراء الصيد ، وان لم أصب حتى الآن سمكة واحدة، ولذلك لم أذق قطرة من الخمر .
ثم أردف : ــ ترى هل اجد لديك جرعة من الجين ؟
فأجابه أحدهم : ــ اننا لسنا بخلاء ، فاربط قاربك الى السلم وتعال تناول كأسا .
ولم يتردد الصياد فى قبول الدعوة الموجهة اليــــه ، وان هى الا لحظات حتى كان الصياد فوق ظهر السفينة الحربية أولاف ، وانى للبحار أن يعرف أن هذا الصياد هو بعينه القديس .
وجاء البحار بزجاجة الخمــــر ، وتبودلت الانخاب، وقرعت الكئوس ، وهم يتبادلون الحديث متسامرين .
وقال الصياد : ــ فى ليلة كهذه كان يجب أن يسمحوا لكم بالنزول الى الـــبر حتى تشاركوا فى احتفـــالات التتويج .
فأجابه أحد البحارة : ــ هذا صحيح لولا ان لدينا سجينا فى السفينة ، يجب أن نقوم على حراسته .
فقال القديس فى استغراب : ــ سجين فى سفينة؟

ــ نعم ، فقد أتينا به من جامايكا .

ــ وما الذى سرقه يا ترى ..؟

ــ لا أعلم .. انه ليس بحارا على أية حال .

كانوا يتبادلون الحديث فى بساطة وألفة ، اذ كان مظهر القديس وهو فى ثياب الصياد باعثا على الاطمئنان نافيا كل بادرة من بوادر الشك .

ومضوا يترعون الكئوس ويفرغونها ، والقديس يحثهم ويشجعهم ، أما هو فكان فى غفلة منهم يفرغ اغلب ما فى كاسه الى البحر من فوق سياج السفينة وهو مستند اليه .

وأفرطوا فى الشرب ، وبدأوا يسكرون ويثملون .

وصعد بحاران من بطن السفينة ، وقال أحدهم وهو يتطلع فى ساعته ، ويناول زميلا له مفتاحا :

ــ لقد حان موعد تغيير نوبة الحراسة .

واستدار اثنان من الحراس ، ومشيا الى مؤخرة المركب ، ولم يتردد القديس فى أن يقتفى أثرهما دون ان يفطن أحد الى مقصده ، وكانت الخمر قد لعبت براسيهما ، فظنا أنه يتفرج .

ونزل البحاران سلما ، ونزل القديس فى أعقابهما ، وسارا فى دهليز طويل انتهى بهما الى زنزانة السجين .

وما كادا يقفان بباب الزنزانة حتى كان القديس قد انقض على أحدهما بلكمة طوحت به أرضا وأفقدته الوعى ، وصرخ زميله :

ــ ماهذا الذى ...

ولكنه لم يكمل عبارته ، فقد خنقتها فى حلقة لكمة أصابت فكه ، فاذا به طريح على الأرض الى جانب زميله ..

وأسرع القديس ففتشهما ، واستولى على المفاتيح وفتح الزنزانة يهيب باميل ..
— اسرع .. اسرع .. قبل أن ينتبه اليناالحراس
وغمغم الفتى : — ولكن من أنت . ؟
ثم فغر فمه دهشة ، واتسعت عيناه رعبا .
هذا هو القديس بعينه .. ! القديس عدوه اللدو الذى التقى به فى جامايكا ..
ولكن كيف يأتى اليه القديس لكى ينقذه من سجنه، وهو غريمه الذى حاول أن يبطش به .
وصاح به القديس : — اسرع .. ! أهرب .. !
كان مستحيلا أن يصعد الى سطح السفينة مرة اخرى والا لرآه باقى البحارة ، فيتكاثرون عليهما ويعتقلونهما .
فتح القديس كوة تشرف على البحر وقال :
— انك تعرف السباحة طبعا .. هيا اقفز الى الماء ، ودر حول المركب تجد قاربى مشدودا الى السلم، واياك أن تصدر صوتا ينبه اليك البحارة .
وصعد القديس الى سطح السفينة ، وحيا البحارة متمنيا لهم نوما هنيئا ، وهبط الى قاربه ، وتحرك به القارب ، ودار حول السفينة ليلتقى باميل الذى كان يضرب فى الماء فى حرص وحذر .

* * *

قال ضابط السفينة وهو ثائر :
— اذن فقد غفلتم عن الحراسة ، وهرب منكم السجين .. ! الويل لكم ايها الانذال .
واتصل قائد السفينة بمدير الشرطة وابلغه بالحادث ولم يجسر مدير الشرطة على ابلاغ الأمر الى البرنس

هوجو .

ولكنه لم يجد مفرا فى النهاية من أن يتصل بالأمير . وقال له الأمير ، — انى أمهلك الى الغد لكى تعتقل اميل والقديس ، قبل موعد التتويج ، وان لم تفعل أمرت باعدامك .

وأفلتت السماعة من يد مدير الشرطة ، وبمشقة استطاع أن يعيدها مكانها .

وما كاد يفعل حتى رن جرس التليفون ، وبيد مرتعدة تناول السماعة وأدناها من اذنه .

وسمع صوتا يقول :

— هل انت مدير الشرطة .. ؟ طاب مساؤك يا صاحب السعادة .. أنا القديس .

وقال مدير الشرطة متلجلجا : — القديس .. ! القديس .. !

— نعم القديس .. انى متلهف الى أن أسدى اليك نصيحة يا صاحب السعادة .

فقال والكلمات تتعثر على لسانه :

— ماذا تريد .. ؟ ماذا تريد .. ؟

— انك تلعب على الجواد الخاسر ياصاحبالسعادة

— ماذا تقول .. ؟

فأجابه القديس : — الامير هوجو خائن .. انه يخون وطنه وأميرته .. فما الذى يدعوك الى أن تنحاز الى صفه .. ؟ أليس أولى بك أن تجعل ولاءك لأميرتك قبل أن يفوت الاوان ؟ انها أميرتك الشرعية ، وولاؤك يجب أن يكون لها وحدها .. طاب مساؤك ياصاحب السعادة ..

الفصل السابع عشر

قامت الدنيا وقعدت فى رولدافيا .

فى كل مكان انطلق البوليس يبحث عن القديس ..

الفنادق ، والحانات ، والشوارع ، كل هذه الأمكنة فتشت بدقة سعيا وراء القديس ، ولكن القديس تلاشى واختفى ، كأنما لم يكن له وجود .. كأنما كان شبحا خفيا تتحدث عنه الأساطير ولكن لا تراه العيون .

أين القديس .. هل عثرتم على القديس .. ؟ هل فتشتم هذا الفندق .. ؟ هل بحثتم فى هذه الحانة ..؟

اذن أين ذهب ، وأين اختفى .. ؟ لا أحد يدرى..

ولكن فى غضون ذلك كله كان القديس قابعا فىجراج مسيو هارسيك جواهرجى القصر الملكى .

كان القديس هناك آمنا مطمئنا .

ولم يكن القديس هناك وحده ، بل كان فى صحبته الفتى أميل ، ذو الشارب الصغير ، شقيق كلارا .. ذلك الفتى الــذى حاول أن يختطف الأميرة ايلين فى جامايكا .

وقال أميل يسأل القديس :

ــ ولكن لماذا انقذتنى ؟ :

ــ سأجيبك على السؤال حالا ، ولكن استبدل أولا ثيابك المبلولة والا أصبت بالتهاب رئوى .

وحمل اليه بعض ثياب جاء بها من دواليب الخدم ثم سأله :

ــ اخبرنى أولا كيف اعتقلك الأمير .. ؟

ــ عندما رآك تهبط فى مطار لندن سالما أصــد

اوامره الى رجاله فى جامايكا باعتقالى .. كان يعتقد اننى أفلحت فى اغتيالك ..

ـ وهل كانت هذه وحدها هى مهمتك .. ؟

ـ كلا .. فقد أمرنى باختطاف الاميرة ايلين ايضا .

ـ وفشلت فى المهمتين ..

فأجاب اميل : ـ كان هذا بفضل تدخلك .

فقال القديس يلومه فى صرامة :

ـ وكيف طاوعك ضميرك على الاقدام على هـــذه الخيانة .. ؟

ـ اننى فى خدمة الأمير ، وقد اصدر الى أوامره.

ـ وكان له ضمير مرن صنع من المطاط .

ـ والقنبلة .. ؟ انت طبعـــا الذى دسستها فى الطائرة التى رحلت عليها من جامايكا .

ـ كلا .. أنا الذى صـــنعتها ، وسلمتها للامير ، ولكن لا أعرف من الذى دسها فى الطائرة .. انى لم اقم بهذه المهمة ..

ـ وكيف تسنى لهم أن يعتقـــلوك وانت فى بـــلاد أجنبيــــة .. ؟

ـ لقد دعانى قائـــد السفينة الحربية أولاف الى زيارتها لأتفرج عليها ، ولم يخامرنى شىء من الشك ، ولكنى ما كدت أصعد اليها حتى قبضوا على ودفعوا بى الى الزنزانة ..

ـ وما هو العقاب الذى تتوقع أن ينزله بك الأمير؟

فأجاب اميل فى صوت يتلجلج :

ـ وهل هناك شىء غير الاعدام .. ؟

وسمعت نقرات على باب الجراج ، وشحب وجه اميل ، وهب واقفا وقد اعتراه خوف شديد .

وقرع الباب مرة اخرى ، وجعل اميل ينقل بصره في فزع بين الباب والقديس .

وقال له القديس في هدوء :

ــ افتح الباب .. لا تخف .. ؟

ومشى الى الباب مترددا ، وازال الرتاج ، ثم ارتد الى الوراء مسرعا منزويا في احد الأركان .

وبرز الطارق من الظلام ، واذا بالطارق أخته كلارا ...

وترامت كلارا على صدر اخيها ومضيا يتبادلان القبلات والأحضان . والدموع تنحدر من وجنتيها .

ولكن كلارا لم تكن وحدها ، وانما دخل في اعقابها العملاق هوبي يونياتز .

وقال هوبي يخاطب القديس :

ــ ثمة مفاجأة لك يا زعيمي ..! لقد هبط البلاد زائر جديد متلهف الى رؤيتك ..

فتساءل القديس : ــ ومن يكون يا ترى ..؟

فأجاب : ــ المفتش تيل من اسكوتلانديارد .

وأطلق القديس ضحكة مرحة وقال :

ــ اذن فقد اكتمل المهرجان .. ما أسعدني بقدومه ولكن متى وصل .. ؟

ــ اليوم .. لقد لمحته بنفسي في المطار ، وقد نزل في نفس الفندق الذي أنزل به .. الكومودور .

ــ وهل رآك .. ؟

ــ كلا . .لحسن الحظ .. كنت حريصا على ان أتفاداه ..

ــ وهل جاء وحده أم رافقه أحد من رجاله .. ؟

ــ بل كان وحده ، وهذا ما أدهشني .

ــ وانه ليدهشني انا أيضا .. ترى ما الذي جاء

به ..؟ اية مهمة سرية قذفت به الى هذه البلاد ..؟
وعاد القديس يتساءل فى اهتمام :
ــ وهل كان فى استقباله أحد من رجال الحكومة ؟
ــ كلا .. جاء متنكرا .
وتريث القديس برهة مفكرا ثم قال :
ــ ما دام المفتش تيل هنا ، فعلينا أن نستغل وجوده لصـــالحنا .
ــ ثم ما لبث أن أردف .
ــ هل أعددت يا هوبى ما طلبته منك ؟
ــ طبعا .. جهاز استقبال وارسال ومكبرللصوت دقيق الحجم .. انها معى فى هذه الحقيبة .
ــ حسنا ..فانى سأكون فى حاجة اليه غدا .
ثم مضى يزود بتعليماته مساعده العملاق .
والتفت الى كلارا قائلا :
ــ لا سبيل لك الآن الى الرجوع الى الفندق،وأنت كذلك يا هوبى ، فعليكما أن تناما معنا فى هذا الجراج.
ثم أردف ضاحكا : ــ بعيدا عن وجه المفتش تيـــل الجميل .. ! وارجو أن تناموا جميعا نوما عميقا ، فان لدينا غدا يوما شاقا عصيبا .

وفى الصباح البـــاكر استيقظوا جميعـــا على دق النواقيس فقد كان ذلك هو يوم التتويج . ومن الطريق تناهت الى آذانهم ضجة الجماهير وهى تهلل وتهتف، نقد كان الشعب فرحا بتنصيب أميرتهم المحبوبة حاكمة على البلاد .
وطرق الباب ، وخف اليه القديس يفتحه ، وكان الطارق هو الجواهرجى هارسيك .
وقال له : ــ اسرع يا بورينز فقد ..

ولكن الكلمات اختنقت فى حلقه ، ولم يكمل عبارته.
رأى يدا ضخمة .. يد عملاق .. مصوبة اليه وفيها مسدس يحمل الموت فى فوهته .
وحملق هارسيك فى ذهول فى ذلك العملاق المنتصب امامه فى ركن الجراج .
وفى نفس اللحظة سمع صوت بورنز الواقف بجانبه يقول :
ــ هدىء من روعك يا هارسيك ولا تخف .. ان التاج فى أمان ، ولن أسرقه ، وستذهب انت نفسك به الى القصر الملكى فكن مطمئنا .
ثم التفت الى العملاق صاحب المسدس قائلا :
ــ سأعهد بك الىصديقى هذا ليرافقك الىالخزانة لتأتى بالتاج .. ولا تحاول خداعه يا صديقى ، فان صديقى هوبى لا يعرف المزاح ، وهو دائما مولع بأن يضغط على زناد المسدسات .
ثم أردف : ــ هيا أسرع مع هوبى ، وعد الىبالتاج فى الحال .. ومرة أخرى احذرك من المناورات والخداع
ورفع هوبى فوهة المسدس فى ظهر الجواهرجى الكهل ، وقاده الى الباب ، وما لبثا أن تواريا خلفه .
ولميجد هارسيك مناصا من الخضوع والاذعان فما كان يسعه أن يفكر فى مقاومة ضد العملاقالضخم وحتى اذا فعل ، فكيف يجسر على معارضة هذا المسدس الرهيب الذى لا يعرف النقاش أو التفاهم .
وبعد عشر ساعات كانت سيارة الجواهرجى منطلقة الى القصر الملكى ، يقودها اميل فى زى السائق ، وقد وضع على عينيه نظارة تخفى معالم وجهه .
كان اميل جالسا الى عجلة القيادة وبجانبهالقديس، وفى المقعد الخلفى كانت تجلس كلارا وهوبى يونباتر

يتوسطهما الجواهرجى هارسيك .. وكان معهما ايضا ذلك المسدس الرهيب مستندا الى جنب الجواهرجى ينذره بالموت ان هو اتى بحركة غدر واحدة .

كانت هذه حيطة لابد منها فقد كانت الشوارع غاصة بالبوليس وجماهير الشعب .

وقال هارسيك متسائلا :

ـ ما الذى تنوون أن تفعلوا بى .. ؟

فأجابه القديس : ـ لا شىء .. الا ان نذهب الى القصر الملكى ..

ـ والتاج .. ؟ هل تنوون أن تستولوا عليه ..؟

فضحك القديس وأجاب فى بساطة :

ـ بل سنضعه على رأس الأميرة .. أنسيت ياصاح ان اليوم هو مهرجان التتويج . ؟

واستبدت الدهشة بالجواهرجى وقال :

ـ اذن فلماذا كل هذا .. ؟ لماذا . .؟ اننى غير فاهم ..

فاستدار القديس الى ناحيته ، والسيارة منطلقة بهم وأجاب :

ـ اننا ذاهبون لانقاذ الأميرة .

ـ انقاذ الأميرة .. وهل ثمة خطر يهددها ؟

ـ طبعا .. الأمير هوجو يحاول أن يغتصب منها العرش .. بل انه حاول أن يختطفها وهى فى جامايكا، ولعله كان ينوى أن يقتلها .. فقد أنقذتها من بين يديه فى اللحظة المناسبة .

وأخذ هارسيك يغمغم وهو لا يكاد يصدق ماسمعت اذناه .. !

ـ انى غير فاهم .. انى غير فاهم ..

فقال القـديس : ـ اميل .. اسرد على مسـبو هارسيك خلاصة لمـا حدث .. قص عليه مؤامرات الأمير هوجو .

ومضى اميـل يتكلم .. روى ما كان من محاولات اختطاف الأميرة ايلين واغتيالها . وما كان من وضع قنبلة فى طائرة القديس للتخلص من ذلك الرجل الذى دافع عن الأميرة وأنقذها .

وقال الجواهرجى هارسيك وقد فرغ اميل من سرد القصـة ..!

ـ اسمع يا بورنز .. أعنى يا قديس .. انك تعرف انى شديد الولاء للاميرة ، وما دام الأمر كذلك فانى معكم .. اننى افتديها بدمى . حياتى فداء لها .

واستشف القديس من نبراته الصدق والاخلاص ، فاستدار الى هوبى يونياتز قائلا :

ـ هوبى .. أنى أثق بمسيو هارسيك واستطيع أن اطمئن الى كلمته . فأعد المسدس الى جيبك .

وعلى مضض رد هوبى المسدس الى جيبه .

وخرجت السيارة من الضواحى ودخلت الى المدينة كانت الشوارع غاصة بالجماهير الحاشدة ، والهتاف والتهليل يتعالى من جميع الأركان ، والزينة فى كل مكان ، وحيثما تسير لا تسمع الا الهتاف بحياة أميرتنا المحبوبة .

وانتهت بهما المسيرة الى القصر الملكى ، وأسرع قائد الحرس يستقبل الجواهرجى ، ومضى به من فوره الى الأميرة . على حين انزوى القديس وأصحابه فى احدى الغرف الخالية .

واستقلت الأميرة سيارتها ، ومضت الى الكاتدرائية فى موكبها الرسمى حيث تقام هناك حفلة تنصيبها أميرا

على عرش اجدادها العظام .
وفى الطريق الى الكاتدرائية كانت الجماهير الفرحة السعيدة تحيط بالسيارة متزاحمة عليها ، وكل فرد منهم يحاول أن يظفر بنظرة الى أميرته المحبوبة .
وفى ذلك الوقت كان القصر يكاد يكون خاليا من الخدم لولا نفر قليل يتسكع هنا وهناك فى انتظارعودة الأميرة ، فقد انضم الجميع الى الموكب العظيم .
وقال القديس يخاطب كلارا :
— والآن هيا يا كلارا .. مهدى أمامنا الطريق .
وانسلوا من الغرفة التى كانوا لائذين بها تتقدمهم كلارا . فلمحت خادما جالسا فى البهو ، فمشت اليه على حين انزوى أصحابها فى أحد الأركان .
وقالت كلارا : — أننى الوصيفة الجديدة للاميرة . ولم أذق شيئا من الطعام لفرط انشغالى ، فهلا أعددت لى شيئا أتبلغ به .
فأجاب الخادم : — بكل ارتياح يا سيدتى .
وسار أمامها يتقدمها الى قاعة الطعام ، وجلست كلارا تأكل على مهل ، وهم الخادم بالانصراف ولكنها دعته الى كأس من الشراب ، فلم يرفض .. وتبع الكأس كأسان أو ثلاثة .
وفيما كان الخادم منهمكا فى الشراب ، كان القديس وصاحباه هوبى وأميل منهمكين فى العمل .
أخرجا من الحقيبة التى جاءوا بها معهم جهاز الارسال والاستقبال وحزمة الاسلاك ، واخذوا يعملون بهمة ، ونشاط مغتنمين فرصة خلو القصر من الخدم .
وفى غضون ذلك كان الموكب يشق طريقه الى الكاتدرائية وتعقيبات الجماهير تلاحق الأميرة المحبوبة

ـــ الا ما أجملها .. ! وما أرشقها .. !

ـــ يالها من ابتسامة رائعة ..

ـــ انها أميرة بحق .. !

كانت الجماهير مجنونة بحبها .. وكان هتافهـــا يتصاعد الى عنان السماء .

وانتهى الموكب الى الـــكاتدرائية ، وقام الأسقف بالطقوس الدينية المألوفة ، ووضع التاج على رأس الأميرة .

وتوالى كبار رجال الدولة يمرون أمام الأميرة ، وينحنون لها مقدمين اليها آيات الولاء والاخلاص .

وانتهت حفلة التتويج ، وخلعت الأميرة التـــاج وأعادته الى مسيو هارسيك ليعيده الى الخزانة .

واستقلت الأميرة سيارتها راجعة الى القصر الملكى وقد جلس الأمير هوجو قبالتها .

ومال اليها يقول : ـــ أرجو أن تكون سموكمراضية

فأجابت : ـــ ولم لا وقد عرفت أن شعبى يعبدنى

فارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة وقال :

ـــ ان الشعوب لا تبقى على ولائها ، فثقى انالتاج لن يبقى على راسك الا يوم واحدا .

فقالت : ـــ وكيف ذلك . ؟

فأجاب : ـــ لأن انصارى سيقومون بانقـــلاب ، ولعلك لا تجهلين ان مدير الشرطة من غلاة انصارى ، وعندها سوف ترين ان هذا الشعب الذى تحسبين انه يعبدك قد بدا يهلل للحكومة الجديدة .. هكذا شـــأن الجماهير دائما .. انها دائما تسير مع التيار .

ثمأردف : ـــ ومع ذلك فان لدى اقتراحا بديلا اذ أنت أردت ان تحتفظى بالعرش .. تزوجى اللورد بولفيش ..

فقالت له فى غير اكتراث :
ــ اذا كان لك أنصار ، فلعلك لا تنسى أن لى أنا أيضا أنصارى الذين يخلصون لى .
فقال ضاحكا فى سخرية لاذعة :
ــ لعلك تقصدين القديس .. ! اذن فاعلمى أن القديس لا يلبث أن يقع فى أيدينا .
ولكن القديس كان شبحا واختفى .
ما أن وصل الأمير هوجو الى القصر حتى دعا اليه مدير الشرطة وسأله :
ــ ماذا فعلتم .. ؟ هل وفقتم .. ؟
فأجاب مدير الشرطة وهو يرتعد خوفا :
ــ لم نوفق حتى الآن .. لقد انشقت الأرض ابتلعته . .
ــ واميل .. ؟ أى نبأ لديك عنه .. ؟
ــ لقد قرر الشهود أنه ألقى بنفسه الى الماء من سفينة أولاف ، وأغلب الظن أنه غرق وقضى نحبه .
وأردف مدير الشرطة : ــ وثمة نبأ آخر يامولاى .
ــ وما يكون هذا النبأ يا ترى ؟ .
ــ لقد هبط البلاد زائر قادم من انجلترا .. المفتش ل كبير مفتشى اسكوتلانديارد .
فقال الأمير هوجو مرددا : ــ المفتش تيل .. !لعله اء لكى يقبض على القديس .
ــ أعتقد هذا يا مولاى ..
ال الأمير هوجو : ــ والآن اليك أوامرى .. عند تصف الليل تماما ستطلق الالعاب النارية والصواريخ ليك أن تبادر فى الحال الى اعتقال جميع انصار الأمـة ..

فقال مدير الشرطة فى دهشة واستغراب :

ــ جميع أنصارها .. ؟ هذا معناه أننى سأقبض على الشعب كله ، وهذا مستحيل يا مولاى .

ــ اننى أقصد كبار أنصارها أيها المغفل .. واذا غفلت عن واحد منهم كان مصيرك الاعدام .

الفصل الثامن عشر

مضت الأميرة ايلين الى جناحها الخاص فقال الضابط القائم بالباب يحرسه :

ــ هل لسموك أن تتفضلى بالمفتاح فان الباب مغلق ..

فأجابت : ــ المفتاح مع الوصيفة .

ووضعت يدها على المقضب وادارته ، فاذا بالباب ينفتح .

فغمغم الضابط : ــ هذا عجيب .. ! انى متأكد أنه كان مغلقا ..

ودخلت ايلين الى الغرفة ، وأغلقت الباب وراءها ثم تسمرت مكانها فى دهشة مذهولة .

هناك فى أقصى الغرفة ، وفى أحد المقاعد الفوتيه كان القديس متراخيا يدخن سيجارته فى هدوء .

واستدارت الى الباب مسرعة ، ووضعت الرتاج وراءه ، ثم تحولت الى القديس .. وعندئذ فطنت الى أنه لم يكن وحده ، بل كان فى صحبته شخصان :كلارا وتلك الفتاة التى قدمت اليها باقة الورد فى ذلك الصباح أثناء الموكب ــ ثم ذلك الفتى اميل الذى حاول أن يختطفها فى جامايكا .

وسألته : ــ هل رايت الموكب واحتفال التتويج

يا سيمون .. ؟

فأجاب : ــ رأيتها وأنا هنا على شاشة التليفزيون فقد كنت منهمكا فى العمل .

فرددت : ــ أى عمل .. ؟

فضحك وأجاب : ــ لقد أعددت لأصحابنا بعض المفاجآت الطريفة ..

فتساءلت : ــ وما تكون هذه المفاجآت يا ترى ؟

فأجاب : ــ فى الوقت المناسب ستعرفين .

ثم استطرد يقول : ــ ان القصر مملوء بأنصار الأمير هوجو وهو فيما أعتقد يستعد للقيام بضربة كبيرة .

فقالت : ــ لقد هددنى فعلا ، وانذرنى بأن التاج لن يبقى على رأسى الا يوما واحدا .

فعقب القديس : ــ أوهام كاذبة ، فان الشعب كله يناصرك ، والذى أستطيع أنا أن أؤكده ان التاج لن يلمس رأسه ولا حتى لحظة واحدة .

وتطلعت اليه بنظرة قلقة وقالت :

ــ يجب أن تكون على حذر يا سيمون ، فانهم لو عثروا عليك ..

وبترت جملتها وقالت : ــ لا تنس اننى اسيرة لا حول لى ولا قوة ، ولا أستطيع أن أمد اليك يد المساعدة .

وسألها : ــ متى تبدأ الحفلة الراقصة .. ؟

فأجابت : ــ خلال لحظات ..

ــ ومهرجان الألعاب النارية .. ؟

فقالت : ــ عند منتصف الليل .

فتريث برهة مفكرا ثم قال :

ــ اذن استمعى الى تعليماتى .. قبل منتصف

الليل بربع ساعة ، أى فى الواحدة الا ربعا بالضبط ،
افتحى هذه القصاصة من الورق .

وناولها ورقة صغيرة مطوية .

واستطرد : ــ واحرصى على أن يراك الأمير هوجو
وانت تفضينها لتقرأيها . وطبعا سيسألك كيف وصلت
اليك فقولى ان احد المدعوين أو احدى المدعوات دستها
فى يدك وهو يمر بجانبك ، دون أن تريه . ثم أقرأيها
وناوليها اليه وقولى له انها خاصة به .

فتساءلت : ــ وبعد ذلك ..؟

ــ لا شىء الا ان تراقبى رد الفعل الذى سيطرأ على
هوجو .. ولست أشك فى انه سيغادر القاعة على
الفور ومعه بعض اعوانه .

ومشى القديس يكمل تعليماته .

ــ انتظرى خمس دقائق بالضبط ، لا أكثر ولاأقل
ثم أشيرى بيدك الى الحضور واطلبى منهم السكوت

ــ السكوت .. !

ــ نعم .. السكوت التام كأنك تهمين بالقاء بيان

وتطلعت اليه فى دهشة ، وقالت :

ــ وبعد ذلك .. ما هو المطلوب منى .. ؟

ــ لا شىء الا أن تنصتى مع المنصتين .. ول
ثقى بى .. هذا هو كل ما أبغيه منك ..

ثم استتلى يقول : ــ ان المفتش كلود أو ستا
تيل كبير مفتشى اسكوتلانديارد موجود الآن فى رولدان
فأرجوك ان تبعثى اليه بدعوة عاجلة لحضور الح
الساهرة ، ولا أريد أن يعرف الأمير هوجو انك وج
اليه الدعوة .

فقالت : ــ فليكن .. سأكون حريصة ..

وطرق الباب ، فتساءلت الأميرة :
— من الطارق .. ؟

فجاءها صوت أحد الضباط من وراء الباب المغلق بالمزلاج ..

— سمو الأمير هوجو يدعو سموك الى الحفلة الراقصة ..

فأجابته : — انى حاضرة حالا ..

فقال لها القديس : — كونى مطمئنة .. سنكون الى جانبك نحميك ونذود عنك ، ولن يجسر مخلوق على ان يمس شعرة من راسك .

واشار القديس الى أصحابه بأن يتبعوه الى الغرفة الداخلية ، واغلق الباب وراءه .



ما ان بدت الأميرة ايلين فى مدخل القاعة حتى هب الحضور جميعا واقفين ، ومضوا يصفقون فى حماس ويهتفون بحياتها .

وتصدرت مقعدا فى صدر القاعة ، وأخذ المدعوون يقبلون عليها ينحنون أمامها ويحيونها معربين عن ولائهم ..

ثم رفعت الأميرة يدها ، وأشارت الى مدعويها بأن يبدأوا الرقص ، واخذت الفرقة الموسيقية تعزف اعذب الألحان ، وكان الراقصون يدورون فى أرجاء القاعة ، وكان بعضهم يقترب من الأميرة فتلقى اليهم بابتسامتها العذبة المشرقة .

وتطلعت الاميرة فى ساعتها .. كانت الدقائق تزحف متسارعة ..

واخيرا حانت الساعة الموعودة ، الساعة المتفق عليها مع القديس .. كانت تشير الى الواحدة الا ربعا.

وتناولت من طيات منديلها قصاصة الورق المطوية التى أعطاها لها القديس ، ونشرتها .

وحرصت على أن تفعل هذا بطريقة تسترعى أنظار الأمير هوجو .

واستدار اليها الأمير وسألها فى اهتمام :ــ ماهذا؟

وكذلك تطلع اليها اللورد بولفيش .

وهزت كتفيها بلا أكتراث وقالت :

ــ لا ادرى .. ورقة دست فى يدى .

وقرأتها ، وتظاهرت بالدهشة العميقة .

وعاد الأمير يسألها فى استغراب :

ــ ومن الذى وضعها فى يدك ؟

ــ لا أدرى .. شخص مر بجانبى . ولكنى لم الحظه .. ربما كان رجلا ، وربما كان سيدة .

ثم رفعت اليه بقصاصة الورق وهى تقول :

ــ انها لك يا هوجو ..

وتناولها منها والقى عليها نظرة سريعة ، وامتقع وجهه امتقاعا شديدا .

كان هذا نصها :

ــ قابلنى الآن يا هوجو على الفور .. انى فى انتظارك فى جناح الأميرة .. اسرع بالحضور والا سلخت جلدك ــ القديس .

وغمغم هوجو يخاطب نفسه وهو يجز علىأسنانه.

ــ القديس .. القديس هنا فى القصر .. ياللجراة! يا للوقاحة ... ! سوف القنه درسا لا ينسى ..

وقالت له ايلين فى لهجة نابضة بالسخرية :

ــ احترس يا هوجو .. كن على حذر فانى لاأحب ان يصيبك سوء .

ورماها بنظرة تفيض غضبا ، وابتعد .

ودار ببصره فى أرجاء القاعة ، ووقع بصره على مدير الشرطة ، فأسرع اليه وجذبه من ذراعه قائلا :

ــ تعال معى .. اسرع ..

وغادر الرجلان القاعة ..

وهم اللورد بولفيش بأن يلحق به لولا ان يدا استقرت فوق كتفه ، فالتفت فاذا برجل قصير القامة يميــل قوامه الى البدانة يبتسم فى وجهه .

وقال له الرجل البدين ذو الكرش .

ــ لحظة واحدة ، ياسيدى اللورد .

فتأمله اللورد بولفيش بنظرة استغراب وقال :

ــ لا أحسب أنى اعرفك يا سيدى .. ؟

ــ بل انك تعرفنى حق المعرفة ، ولهذا أرجوك أن تقدمنى الى صاحبة السمو الأميرة .

ــ ولكن لا أظن أننى تشرفت قبل ..

فقاطعه : ــ على أية حال اننى أدعى المفتش تيل كبير مفتشى اسكوتلانديارد .. وما احسب الا انــك سمعت باسمى قبل ذلك .

وحملق فيه اللورد بولفيش قائلا :
ـ المفتش تيل .. ! هذا عجيب ..
ـ وما وجه العجب ..
ـ كيف جئت هنا .. ؟
فابتسم المفتش تيل قائلا ـ
ـ بالطريقة المعهودة .. طائرة من لندن الىرولدافيا ثم سيارة من الفندق الى القصر .
فقال اللورد : ـ لا أقصد هذا .. من الذى دعاك الى القصر ..؟
ـ ربة القصر طبعا .. الأميرة ايلين ..
ثم اردف : ـ ولو لم تدعنى فاننى كنت مصمما على أن أحضر من تلقاء نفسى .. حتى بدون دعوة ..
فتساءل اللورد : ـ ولكن لماذا .. ؟ ما السبب .؟
وكان الجواب فى بساطة وهو يحدج اللورد بنظرة ثابتـــة ..
ـ لأن من عادتى أن أتعقب المجرمين حيث يكونون
وتطلعت الأميرة فى ساعتها ، ووجدت أنه انقضت خمس دقائق منذ سلمت رسالة القديس الى الأمير هوجو ، فنهضت واقفة ، ورفعت يـــدها تومىء الى الحضور بأن يخلدوا الى السكوت .
وكفت الموسيقى عن العزف ، وتوقف الراقصـــون عن الرقص ، وران على القاعة سكون شامل .
وتكلمت الاميرة ... قالت :
ـ أيها الاصدقاء ... اننى اطلب منكم الانصـــات

التام ... اننا الان ازاء حدث تاريخي خطير ... إنني أنا نفسي لا اعرف حتى اللحظة تفاصيل هذا الحدث ، ولكننا لن نلبث جميعا أن نعرف ... ولكن لكي تعرفوا يجب ان تلزموا الصمت وان تنصتوا ... كذلك أرجو ان تسكتوا الضجة الصادرة من الفناء .

وأسرع بعض اتباعها المخلصين الى النافذة ، وأشاروا الى الجماهير المحتشدة في فناء القصر بأن يلزموا السكون . ولم يعد هناك من صوت يسمع الا دقات نواقيس الكنيسة .

وقال اللورد بولفيش متسائلا :

ـ ما معنى هذا ..؟

ولكزه المفتش تيل في كتفه قائلاً :

ـ لقد طلبت الينا السكوت ، فاطبق فمك .

وفجأة ... وعلى غير انتظار ... ارتفع صوت من مكبر للاصوات مثبت في نجفة القاعة . وكان الصوت من الارتفاع بحيث سمعه من في القاعة ومن في فناء القصر ايضا .

كان الصوت الصادر من مكبر الصوت يقول :

ـ اذن فقد جئت يا مسيو تمبلار لكي تتحداني ..؟ لقد جنيت على نفسك والويل لك ..؟

وساد الصمت برهة ، ولم يكن يسمع خلاله الا وقع اقدام تروح وتجيء فوق الارضية الباركيه .

وعاد الصوت يتكلم من جديد ، وكان واضحا انه صوت الامير هوجو .

وكان يقول : ــ انك تبتسم فى سخرية ..! ولكن دعنى أقدم اليك مدير الشرطة ... ودعنى أحذرك أيضا بأن أمام باب القاعة نفر من رجال الشرطة ، فليس أمامك الا أن تهرب عن طريق النافذة ، وعندها سوف تدق عنقك .

ومن جديد كانت هناك فترة قصيرة من السكوت ، ثم سمع صوت الامير هوجو يستطرد :

ــ لقد عرفت كلارا واستطعت أن أميزها رغم شعرها المبتعار ... لقد خانتنى وغدرت بى فالويل لها ... والويل ايضا لاخيها اميل ... سوف ابعث بهما الى المشنقة .

وكان الرد الذى ردده الميكروفون ضحكة هازئة .

كان القوم المحتشدون فى القاعة مرهفين السمع يصغون الى هذا الحديث فى انتباه . وكذلك كان يستمع اليه الجمهور المحتشد فى فناء القصر .

وعند هذا تكلم الرجل الاخر الذى لم تصدر منه حتى هذه اللحظة الا الضحكات الساخرة .

وحين تكلم كان صوته باردا ... صارما ــ كأنه حد السيف .

قال الرجل الاخر : ــ انك مخطىء يا برنس هوجو ... فالويل لك أنت ... الا تعلم انى ادخر فى جعبتى ما لا يخطر لك على بال ... ولن ينقذك من يدى انك قريب للاميرة المحبوبة .

فقال الامير هوجو : ــ الاميرة المحبوبة ..! انها لن تبقى على عرشها دقيقة واحدة ... سأنتزعها من فوق

العرش واتولاه مكانها .

فقال الصوت الاخر : — أنسيت انك حاولت وفشلت .

وسمع صوت الامير يقول : — اقبض على هذا الرجل يا مدير الشرطة .

وارتفع الصوت الصارم الرهيب البتار يقول :

— اياك أن تتحرك ايها الضابط ... حركة واحدة ترديك قتيلا ... هيا انظر وراءك ... ان اصبع صديقى فوق الزناد ، وصديقى هذا عصبى المزاج ، واصبعه مصاب بالرعشة ، فاحذر لنفسك .

والتفت الامير ومدير الشرطة خلفهما ، ورأيا العملاق هوبى يونياتز رابضا فى ركن منزو من القاعة ، وفى يده مسدس رهيب .

وكان المفتش تيل فى قاعة العرش يصغى الى هذا الحوار باسما وهو يقول فى نفسه :

— اذن فهوبى يونياتز موجود هنا أيضا .

وجاء من الميكروفون صوت الرجل الاخر يقول :

— تعالى هنا يا كلارا وتحدثى قليلا الى الامير ... قصى علينا كيف دعاك الامير الى قصر اللورد بولفيش وأمرك أن تدسى على مجوهرات الاميرة ايلين حتى اتهم بسرقتها .

وما ان سمع اللورد بولفيش هذه الكلمات حتى هم بأن يغادر القاعة ، ولكن المفتش تيل القى بيده فوق كتفه وهو يقول :

— لا داعي للانصراف يا سيدى اللورد ..! ابق

معى حتى نستمع الى بقية هذه القصة الطريفة .
تكلمت المرأة فقالت :

ــ نعم ... انك دبرت انت واللورد بولفيش مؤامرة تهدفان بها الى اتهام القديس بسرقة جواهر الاميرة ايلين ، وامرتمانى بأن أنقل اليه رسالة مزيفة على لسان الاميرة بأنها تعهد اليه بمجوهراتها ، وان عليه أن يبرح القصر فورا والحقيبة معه ، وبذلك يتسنى لكما أن تضبطاه متلبسا .

وصرخ فيها الامير : ــ انك كاذبة .

ــ انى اقول الصدق يا سمو الامير ... انك هددتنى بأن تقتل اخى اميل ان أنا رفضت .

وقال الامير : ــ لا تصدقها أيها الضابط ... انها تكذب ... اقبض عليها وعلى القديس حالا .

كان المفتش تيل ينصت سعيدا راضيا ، وكانت ايلين تنصت سعيدة راضية ــ والوحيد الذى كان خائفا يرتعد انما كان اللورد بولفيش .

وسمع صوت القديس وهو يقول :

ــ اظن انه آن الان لاميل ان يتكلم ... هيا يا اميل حدثنا عن مصرع الامير بول .

وسمع صوت جديد يتكلم لا بد انه كان صوت اميل .

قال : ــ لقد أمرنى الامير بأن اصنع قنبلة موقوتة فأنجزتها وسلمتها اليه فوضعها فى طائرة الامير بول فانفجرت فى الجو اثناء عبوره بحر المانش .

وما سمع الحاضرون هذا الاعتراف حتى سرت

همهمة بين الحاضرين فى القاعة ، همهمة سخط واستنكار ، وكذلك ارتفعت من الفناء جلبة الجماهير الغاضبة .

وقال القديس : ــ هل انت على استعداد يا اميل لان تشهد بذلك أمام المحكمة ..؟

وقال اميل : ــ انى على استعداد ... وليس هذا فقط بل ان الامير هوجو أوفدنى الى جامايكا لكى اختطف الاميرة ايلين واقتلها حتى يرتقى العرش مكانها ، ثم تدخلت انت يا مسيو تمبلار وانقذتها من بين يدى .

واستطرد اميل يقول :

ــ وعقابا لى على فشلى أمرت رجالك يا سمو الإمير باعتقالى وسجنى فى السفينة الحربية اولاف حتى تأمر باعدامى .

وقال القديس : ــ ارايت يا سمو الامير ..؟ هذه جرائمك قد انكشفت ، فما رايك ..؟

وارتفع صوت الامير يقول :

ــ نعم .. لقد فعلت كل هذا ، ولكنك لا تستطيع ان تثبت ضدى شيئا ... ان كلمتى مقابل كلمة هؤلاء الانذال ... وكلمة الامير هى المصدقة دائما .

ثم اردف الامير : ــ اقبض عليه ايها الضابط ... انك لن تخرج حيا من هذه القاعة .

وضحك القديس وقال :

ــ صدقت ... كلمتك مقابل كلمتهم ، وكلمة الامير هى المصدقة دائما ، ولكن ما رايك فى هذا ..؟ انه شاهد لا يمكن ان تطعن فى صدقه .

فقال الامير متسائلا : ـ ومن يكون هـذا الشاهد الذى لا طعن فى شهادته .

وسمع صوت القديس يقول :

ـ شاهدى هو هذا الميكروفون ... لقـد ثبت فى ارجاء القصر مكبرات للصوت ، وما من كلمة نطقنـا بها الا نقلها الميكروفون الى آذان المدعوين الى الحفلة الساهرة ... أرأيت اذن انك وقعت فى الفخ ..؟ يا صاحب السمو الامير العظيم ..!

وعلى الاثر سمع صوت عراك ... شتائم تنطلق من فم الامير ... وموائد تنقلب ... ومقاعد ترتطم بالارض .

واقبلت الاميرة على المفتش تيل وهى تقول فى روع وهلـع :

ـ سـيدى المفتش ... ارجـوك ان تسرع الى نجدته ... ارجوك .

وتطلع اليها المفتش تيل ، ثم ابتسم فى وجهها وقال فى هدوء :

ـ اطمئنى يا سمو الاميرة ... ان القديس ليس فى حاجة الى نجدة ... اعداؤه هـم الذين يحتاجون الى من ينجدهم ..!

الفصل التاسع عشر

لم تمض لحظات حتى دخل الامير هوجو الى القاعة يتبعه القديس ومدير الشرطة ممسك بالامير ، فى حين كان هوبى يونياتز يمشى وراءهم ومسدسه فى يده .

وما أن رآه الحاضرون حتى صاحوا في وجهه ساخطين .

ووقف الامير امام ايلين منكس الراس لا ينطق بكلمة .

وقال سيمون تمبلار يخاطب الاميرة :

ـ انك سمعت اعترافه يا صاحبة السمو ..؟

فأجابت : ـ لقد سمعت كل شيء .

وقال هوجو في صوت ينبض بالمذلة :

ـ اتوسل اليك ان تصفحي عني .

وقالت الاميرة في هدوء :

ـ قد اصفح عن اختطافي ، وقد اصفح عن محاولة اغتيالي ، ولكن كيف تريد مني أن اغفر لك انك قتلت ابي ..؟

وتقدم المفتش تيل من الامير والقى بيده على كتفه وهو يقول :

ـ اننا عائدان الى انجلترا ، وهناك ستتقدم الى المحكمة بتهمة نسف طائرة الامير بول .

وتساءل الامير هوجو في نبرة بائسة :

ـ وما هي العقوبة المنتظرة ..؟

واجابه تيل : ـ الاعدام طبعا .

وأخرج تيل قيدا حديديا من جيبه ، ووضعه حول يدي الامير بول .

ثم التفت الى احد الضباط قائلا :

ـ اودعه السجن ريثما يحين موعد اقلاع الطائرة .

وخرج الامير هوجو من القاعة تشيعه اللعنات وكلمات السخط ■

وتحول المفتش تيل الى اللورد بولفيش قائلا :
ــ أما أنت يا سيدى اللورد فستقدم الى المحاكمة بتهمة التستر على الجرائم التى ارتكبها الامير هوجو .
وهنا انبرى القديس يقول :
ــ اننى اعتقــد يا عزيزى تيــل ان اللــورد على استعداد لان يقدم قرضا كبيرا الى رولدافيا تصلح به من احوالها المالية .
فأسرع اللورد يقول :
ــ طبعا ... طبعا ... انى رهن اشارة ســمو الاميرة ، فقد كنت صديقا حميما لابيها .
فقال القديس يخاطب الاميرة :
ــ هــل تكفى عشرة ملايــين جنيــه يا صاحبة الســمو ..؟
فابتسمت الاميرة قائلة : ــ تكفى .
فقال القديس يسأل اللورد : ــ ما رأيك ..؟
فأجاب : ــ سأحرر الشيك حالا .
وتحول القديس الي المفتش تيل قائلا :
ــ وانت ما رأيك يا عزيزى تيل ..؟
فقال : ــ ما دامت الاميرة لن تقدم أية شكوى ضد اى اجراء .

* * *

خلت الاميرة الى سيمون تمبلار فى جناحها الخاص .
وقالت له : ــ ان وظيفتك كرئيس حرس ما زالت فى انتظارك .
فتأملها برهة ثم أجاب :

ــ انك تخلصت من اعدائك ، فلم تعد بك من حاجة الى .

فهمست : ــ ألا تعلم اننى دائما فى حاجة اليك . . .

فقال : ــ انك تعلمين اننى رجل مغامر لا يطيب لى الاستقرار فى مكان واحد .

ومد اليها يده يصافحها . . . وكانت يدها ترتجف وهى بين كفيه .

واستدار مسرعا يغادر القاعة ، ولم يحاول أن يلتفت وراءه حتى لا يرى تلك العبرات التي كانت تنحدر فى سكون من مقلتيها .

تمت